دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء

و

كيف يمكن التخلص من الإثم؟

و

عصمة الأنبياء عليهم السلام

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أسماء الكتب: دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء، كيف يمكن التخلص من الإثم، عصمة الأنبياء عليهم السلام

الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ الموافق لـ ٢٠١٨م

Defence against the calamity and a criterion for the Elect of God, How to be Free from the Sin, The Honor of Prophets

An Arabic rendering of:

Daafiul-Balaa wa Mi'yaaro Ahlil Istifaa, Gunaah Se Najaat Kiyonkar Mil Sakti He, Ismat-e- Anbiaa

Written by: Hazrat Mirza Ghulam Ahmad (on whom be peace),
The Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Ahmadiyya Muslim Community

Translated from Urdu by: Abdul Majeed Amir and Muhammad Ahmad Naeem

First Published in UK in 2018

Published by:
Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey,GU9 9PS
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Farnham, Surrey
GU9 9PS

For further information please contact:
Phone: +44 1252 891330
Fax: +44 1252 821796

www.alislam.org
www.islamahamadiyya.net

ISBN: 978-1-84880-801-0


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الناشر

يسعدنا أن نقدّم لقراء العربية ترجمة ثلاثة كتب المسيح الموعود عليه السلام: دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء، كيف يمكن التخلص من الآثام وعصمة الأنبياء عليهم السلام.

دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء

لقد نشر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الكتيب في إبريل ١٩٠٢ حيث كان الطاعون الفتاك متفشيا في البنجاب على نطاق واسع. وذكر فيه إلهاماته التي كانت تتنبأ بتفشي وباء الطاعون، وتفيد أن الطاعون قد حل في العالم لأن المسيح المبعوث من الله لم يُكفر به فحسب بل قد أوذي، ونُسجت مؤامرات لقتله، وسمي كافرا ودجالا. وبين حضرته أن الكتب السابقة قد ورد فيها النبأ أن في زمن المسيح الموعود سيتفشى الطاعون الفتاك. ثم قال حضرته إن علاج الطاعون المؤكد هو الإيمان بهذا المسيح بصدق القلب والإخلاص، وإحداث التغيير الروحاني في حياة الناس. كما أعلن بناء على الوحي الإلهي أن الله تعالى سوف يحفظ

قاديان من الطاعون الجارف ما بقي في العالم حتى لو امتدت أيامه لسبعين عاما.

وقال أيضا: "ومن معجزاتي أنه إذا حلف أحد من معارضيّ الساكنين في أمروهة أو في أمرتسر أو في دلهي أو في كلكوتا أو في لاهور أو في غولره أو في بطاله بأن المكان الفلاني سوف يسْلم وينجو من الطاعون، فأنا أؤكد بدوري أنه سيتعرض حتما للطاعون، لأنه أبدى تصرفا مسيئا إلى الله عز وعلا."

ولكن أي معارض لم يتجرأ على نشر مثل هذا الإعلان، وثبت أن وباء الطاعون كان بحقٍّ آية عظيمة لصدق المسيح الموعود عليه السلام، والذي جاء ذكره أيضا في نبوءات الكتب السابقة.

كيف يمكن التخلص من الإثم

هو مقال للمسيح الموعود عليه السلام وقد نُشر في أول عدد لمجلة مقارنة الأديان الأردية في يناير ١٩٠٢م.

كذلك نُشر هذا المقال في أول عدد لمجلة مقارنة الأديان الإنجليزية أيضا بتاريخ ١٩٠٢/١/٢٠م. وبعد أربعة أيام من طباعة المجلة المذكورة كتب رئيس التحرير لجريدة "الحكَم" في عددها ١٩٠٢/١/٢٤م: "لا حاجة لنا إلى أن نقول شيئا عن نوعية المقالات

المنشورة فيها إلا أنها صادرة من قلم المسيح الموعود عليه السلام". ثم أورد قائمة المقالات المنشورة في المجلة، وذكر هذا المقال في الرقم ٣ في القائمة، ثم كتب: "لقد نُشر أول عدد للمجلة، والمقالات المنشورة فيها كله صدرت من قلم المسيح الموعود عليه السلام".

لقد أضيف هذا المقال في سلسلة الخزائن الروحانية لأول مرة بإذن من سيدنا أمير المؤمنين، الخليفة الخامس للمسيح الموعود عليه السلام.

عصمة الأنبياء عليهم السلام

لقد نُشر هذا المقال القيّم لسلطان القلم، المسيح الموعود والمهدي عليه السلام في مجلة "مقارنة الأديان"، في عددها الأردي لشهر أيار/مايو ١٩٠٢م. مسودة هذا المقال مكتوبة بيد المسيح الموعود عليه السلام وهي محفوظة عند مرزا عبد الصمد سكرتير لمجلس "كار برداز".

لقد أضيف هذا المقال في سلسلة الخزائن الروحانية لأول مرة بإذن من سيدنا أمير المؤمنين، الخليفة الخامس للمسيح الموعود عليه السلام.

لقد حظي بشرف تعريب كتاب دافع البلاء الداعية الإسلامي الأحمدي محمد أحمد نعيم، وتعريب الكتابين الآخرين الداعية الإسلامي الأحمدي عبد المجيد عامر وصدرت بإشراف المكتب العربي المركزي بالتعاون مع عدد من الإخوة العرب الذين أسهموا في أعمال المراجعة

والتدقيق، ونخص بالذكر السيد خالد عزام، والدكتور وسام البراقي المحترمين.

نتقدم بخالص الشكر لكل مَن ساهم في نشر هذا الكتاب داعين أن يجزيهم الله أحسن الجزاء ويجعله في ميزان حسناتهم، كما نسأل الله تعالى أن يوفق القراء الكرام للاستفادة من هذه الكنوز، ويجعلها سببا لهداية الباحثين عن صراط الله المستقيم، آمين.

الناشر

دافع البلاء

ومعيار أهل الاصطفاء

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام

المسيح الموعود والإمام المهدي

غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتيب

ٹائیٹل بار اول

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِيْن

الحمد للہ کہ زمانہ کی ضرورت کے موافق بہتوں کو طاعون سے نجات دینے کے لئے یہ رسالہ تالیف کیا گیا اور اس کا نام

ہے

دَافِعُ الْبَلَاءِ وَمِعْيَارُ أَهْلِ الْاِصْطِفَاء

بمقام

قادیان دار الامان

باهتمام حکیم فضلدین صاحب مطبع ضیاء الاسلام

میں چھپا

تعداد جلد ۵۰۰۰ اپریل ۱۹۰۲ء

ترجمة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتيب

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

لقد أُلِّف هذا الكتيِّب وفق ضرورة الزمن لإنقاذ العديد من الطاعون

فالحمد لله على ذلك

واسمه

دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء

وطُبع في مطبعة ضياء الإسلام بقاديان، دار الأمان،

بإشراف الحكيم فضل دين المحترم

في إبريل/ نيسان عام ١٩٠٢م

عدد النسخ ٥٠٠٠

تنبيه

في ضوء تجربة الأنبياء السابقين عليهم السلام نعرف مسبقًا أن رسالة المواساة التي نود إيصالها إلى أعزائنا المواطنين عبر هذا الكتيّب لن تلقى التقدير من معارضينا مبدئيا سوى أن نسمع مرة أخرى مسبّات المشايخ والقساوسة والبانديتات، ونُذكَر بألقاب نابية مُحزنة. فنحن نعرف مسبقًا أن هذا سيحدث، لكننا اخترنا أن نتأذى ونتعذب بكلمات بذيئة في سبيل التعاطف مع بني البشر، وذلك لأنه من المأمول أن يخرج من سلالة المئات والألوف من السابِّين هؤلاء- في هذا الوقت الذي تمطر فيه السماء نارًا، والتي يُتوقَّع أن تزداد اشتعالا في الشتاء القادم- مَن يقرأون هذا الكتيّب بإمعان ولا يتسرّعون في التحامل على ناصحهم الحنون هذا، وأن يجربوا الوصفة التي يقدمها لهم، لأنه لم يسألهم أي أجر مكافأةً على هذه المواساة، وإنما تَقدّم باقتراح مجرَّب وطيِّب لإنقاذ الناس بدافع الإخلاص المحض وطِيب الخاطر وحسن النيّة، فكما أن المرضى يرضَون بأن يشربوا بول الدواب أيضا ويستخدموا أشياء نجسة كثيرة بُغية العلاج، فما الذي يصيبهم لو اختاروا هذا العلاج الطيب لإنقاذ نفوسهم من الهلاك؟ وإن لم يفعلوا فسوف يدركون على كل حال عند المواجهة أيٌّ من الأديان تتحقق شفاعتُه ويستحق أن يُطلَق عليه اسم الـــ"مخلِّص" الجليل.

فكل نفس تتوق إلى المخلِّص الصادق وتحبه، فقد آن الأوان بلا شك أن يُعرَف المخلِّص الحق. لا شك أننا نرى المسيح ابن مريم رجلا صادقا ونؤمن بأنه كان أفضل[١] من الكثيرين في عصره- والله أعلم- إلا

---

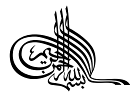
[١] لا يغيبن عن البال أن ما قلناه آنفا بأن سيدنا عيسى عليه السلام كان أفضل من كثير من الناس في عصره صادر عن مجرد حسن الظن، ومن الممكن أن يكون في أرض الله في زمن سيدنا عيسى عليه السلام أبرار مقربون يفوقونه ورعًا وتقربا إلى الله تعالى، وذلك لأن الله تعالى قد قال عنه في القرآن المجيد: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران: ٤٦). مما يعني أنه كان أحد المقربين في زمنه. لا يثبت من ذلك أنه كان أفضل المقربين جميعا، بل هناك احتمال أن يكون بعض المقربين في زمنه أفضل منه. ومن المعلوم أنه كان رسولا إلى خراف بني إسرائيل فقط، ولم تكن له أية صلة بالأقوام والبلاد الأخرى، ومن الممكن بل من الأقرب إلى الفهم أن يكون بعض الأنبياء- الذين تندرج أسماؤهم في قائمة: ﴿لم نَقْصُصْ﴾ (غافر: ٧٩) أي الذين لم ترد أسماؤهم في القرآن- أفضلَ منه، فكما ظهر مقابل سيدنا موسى عليه السلام شخص قال الله عنه: ﴿عَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٦)، فكيف يمكننا القول بأن عيسى عليه السلام كان أفضل الصادقين كلهم في زمنه مطلقا، وهو الذي كان أقل شأنا من موسى عليه السلام وكان تابعًا للشريعة الموسوية ولم يأت بشريعة كاملة، إذ كان يتبع في مسائل الختان والفقه وأحكام الوراثة وحرمة الخنــزير وغيرها من الأحكام شريعةَ موسى عليه السلام. أما لو رفعه إلى السماء أولئك الذين اتخذوه إلهًا من المسيحيين أو الذين وصفوه بصفات إلهية دون مبرر مثل أعدائنا وأعداءِ الله المسلمون اسمًا، وأجلسوه على العرش أو نعتوه بأنه خالق الطيور مثل الله؛ فهذا شأنهم، لأنه إذا خلع الإنسان الحياء والإنصاف فليقل ما يشاء وليفعل ما يشاء، إلا أنه لا يثبت أن عيسى عليه السلام كان أكثر الناس تقىً في ذلك

أنه لم يكن مخلِّصًا حقيقيًا. وإن اعتباره مخلِّصا حقيقيا تهمة عليه، وإنما المخلِّص الحق الذي يقدِّم ثمار النجاة إلى الأبد وإلى يوم القيامة هو ذلك الذي وُلد في أرض الحجاز وبُعِث لنجاة العالم كله وفي جميع الأزمنة، وقد ظهر الآن أيضا، لكن بشكل بروزي. **متّع الله جميع أرجاء الأرض ببركاته.** آمين.

العبد المتواضع

مرزا غلام أحمد من قاديان

الزمن، بل للنبي يحيى عليه السلام فضلٌ عليه، لأنه لم يكن يشرب الخمر ولم يُسمع عنه قط أن مومسًا مسحت رأسه بعطر من دخْلها الحرام أو لمست جسده بيدها وشعْر رأسها، أو أن شابة غريبة كانت تخدمه، ولذلك قد لقّب الله تعالى يحيى في القرآن الكريم بالحَصُور، ولم يلقب المسيح بهذا اللقب- لأن مثل هذه الأحداث كانت مانعة من ذلك- ثم إن سيدنا عيسى عليه السلام تاب من معاصيه على يد سيدنا يحيى عليه السلام- الذي يسميه النصارى يوحنا، والذي وُصِف بعدئذ بأنه إيليا- وانضم إلى مريديه المقربين، وبهذا تتجلى فضيلة يحيى عليه، بينما لم يثبت أن يحيى تاب على يد أحد، فبراءته أمر بيّن وجليّ. أما الحديث الشائع في المسلمين إن عيسى وأمه لم يمسّهما الشيطان فلا يفهمه الأغبياء، فالأصل أن اليهود الأنجاس كانوا قد ألصقوا به وأمه أشد التّهم وأشنعها، وكانوا يتهمونهما بأعمال شيطانية، والعياذ بالله، ومن ثم كان لا بد من دحض هذا الافتراء. وليس المراد من هذا الحديث غير تفنيد تهم اليهود الخبيثة عليه وعلى أمه عليهما السلام وتبرئة ساحته وتنزيهه من مس الشيطان. ولم يسبق مثل هذا التطهير في حق أي نبي سابق. منه



نحمده ونصلي على رسوله الكريم

الطـــاعون

[١]"بما أن الطاعون أتى من عند الله، فانظر إليه بعين الإكرام
أنت نفسك أيها الفاسق ملعون، فلِمَ تسميه ملعونًا؟
هذا الزمن زمن التوبة والوقت وقت الصلاح وترْكِ الخبث
الذي يمارس السيئات لا أرى عاقبته محمودة ولا مصيره حسنًا."

تتباين الآراء في هذا المرض المروّع الذي يتفشى في البلد بسرعة.

فالأطباء- الذين تقتصر أفكارهم على التدابير المادية فقط- يتبنّون فكرهم بإلحاح أن بعض الجراثيم تنشأ في الأرض لمجرد الأسباب الطبيعية التي تترك تأثيرها السلبي في الفئران[٢] أولا، ومن ثم تبدأ سلسلة الوفيات

---

[١] ترجمة أبيات فارسية. (المترجم)

[٢] **الحاشية:** لمعرفة مرض الطاعون بحسب قواعد الطب لا بد من وجود فئران ميتة في المدينة أو القرية الشقية أو أي مكان منها تفشَّى فيه هذا المرض الفتاك، وذلك قبل أيام كثيرة من تفشِّيه، وإذا مات عدد من الناس بالحمَّى في قرية ولم يُعثَرْ على فئران ميتة- على سبيل المثال- فإنه ليس بطاعون بل هو نوع من الحميات القاتلة. منه.

في الناس، ولا علاقة- *برأيهم*- لهذا المرض بالأفكار الدينية، ويجب علينا أن نصون بيوتنا ومجاري الماء من كل الأوساخ والأنتان، وننظفها بالمواد المبيدة للجراثيم، ويجب أن ندفّئ المنازل بالنار ونبنيها بما يضمن التهوية والإنارة، وينبغي ألا يسكن الناس في بيت واحد بكثرة لكيلا يؤدّي ذلك إلى تولُّد الجراثيم نتيجة تنفّسهم وتبوّلهم وتغوّطهم، كما يجب أن يتورّعوا عن تناول المأكولات الملوّثة. وأفضل علاج أن يأخذوا المصل ضد الطاعون- وإذا ألفَوا في البيت فئرانا ميتة فليغادروا البيت، والأفضل أن يخرجوا إلى الهواء الطلق والساحات المكشوفة وأن يمتنعوا عن لبس الملابس الوسخة- وإذا دخل عليهم شخصٌ من مكان قد حلَّ به هذا المرضُ وعُدِيَ به فعليهم أن لا يسمحوا له بالدخول، كما إذا أصيب أحد منهم بهذا المرض فليُخرجوه من مدينتهم وليُحجموا عن الاحتكاك به. وهذا كل ما لديهم من علاج الطاعون.

هذا رأْي الأطباء المختصين ولا نراه علاجا ناجعا ودائما، كما لا نقول إنه عديم الجدوى إطلاقا؛ فلا نراه علاجا كافيا ودائما لأنه قد سُجلت حالات كثيرين لقوا مصرعهم رغم خروجهم من الأماكن الموبوءة، ومات بعضهم الآخر مع التزامه بالنظافة، وأخذ بعضهم اللقاح رجاء الخلاص من هذا المرض لكنهم ماتوا. فمن ذا الذي يستطيع القول جزما ويُقنعنا بأن هذه التدابير كلها تمثل علاجا ناجعا شاملا، بل نضطر

إلى الاعتراف بأن كل هذه التدابير لا تمثل نجاحا كاملا للقضاء على الطاعون في البلد مع كونها مفيدة إلى حد ما.

كذلك فإن هذه الخطط لا تخلو من الفائدة تمامًا، لأنه قد لوحظ نفعُها حيثما أراد الله أن تعمل، غير أنه ضئيل لدرجةٍ لا تبعث على السرور والفرح الكبير. وعلى سبيل المثال، صحيح أن البلدة التي أخذ مائة شخص مثلا فيها اللقاح كان عدد الأموات فيها أقل من البلدة التي لم يأخذ فيها اللقاحَ عدد مماثل. لكن لما كان مفعول الحقنة يزول بعد شهرين أو بعد ثلاثة أشهر على أكثر تقدير، فإن آخِذ الحقنة أيضا يتعرض للخطر المتكرر حتى ينتقل إلى العالم الآخَر. وإنما الفرق بين من يأخذ الحقنة وغيرِه هو أن مثَل الذين لا يأخذونها كمثل الذين يركبون مرْكبة قد توصلهم إلى دار الفناء في أربع وعشرين ساعة، بينما الذين يأخذون المصل فمثلهم كمثل الذين يمتطون برذونًا بطيء السير الذي سوف يوصلهم إلى المكان نفسه في أربعة وعشرين يوما. على كل حال إن كل هذه الأساليب التي اتُخذت باعتبارها طبية ليست شاملة ومقنعة بما فيه الكفاية ولا هي عديمة الجدوى تماما. ولما كان الطاعون لا يزال يلتهم الناس بسرعة، فإن التعاطف مع بني البشر ومواساتهم يتطلب التفكير في إيجاد طريق آخر للإنقاذ من الهلاك.

إن المسلمين- كما يُفهم من الإعلان الذي نشَره مؤخرا الشيخُ ميان شمس الدين في شهر نيسان/إبريل عام ١٩٠٢ أمينُ السرّ في "منظمة حماية الإسلام" بلاهور- يقترحون بإلحاح على أن يخرج أهل الفِرق الإسلامية كلها الشيعة وأهل السنة المقلدون منهم وغيرهم إلى الميادين ليرفعوا أكفَ الضراعة إلى الله تعالى، كلٌّ بحسب معتقده، وأن يتوحدوا في التوقيت والتاريخ لأداء الصلاة، فهذه وصْفة سيزول بها الطاعون لتوّه، إلا أن الكاتب لم يقدّم أيّة وسيلة من شأنها أن تجمع كل هؤلاء، إذ المعروف عن الفرقة الوهابية أنهم يؤمنون أن الصلاة لا تصلح دون قراءة الفاتحة (خلف الإمام) أما الأحناف فلا يقرأونها، فكيف يرضون أن يصلّوا وراءهم؟ ألن تكون هناك فتنة؟ ثم إن ناشر هذا الإعلان لم يقدِّم أيَّ اقتراح للهندوس لدفع هذا البلاء عنهم؛ فهل يسوغ لهم الاستنجادُ بأصنامهم؟ وأيّة وسيلة يجب على المسيحيين اختيارها؟ وماذا عن الفِرق التي تؤمن بسيدنا الحسين أو علي رضي الله عنهما قاضيَي الحاجات! ويقدمون آلاف النذور عند مواكب العزاء في شهر محرم؟[1] أو

[1] **الحاشية:** إن شهر محرم هذا لشهر مبارك جدا، فقد ورد في الترمذي حديث النبي ﷺ عن فضيلة هذا الشهر حيث قال ﷺ: "فِيهِ يومٌ تابَ الله فِيهِ عَلَى قومٍ ويتوبُ فِيهِ عَلَى قومٍ آخرينَ". أي في شهر محرم يوم نجا فيه قوم من البلاء في زمن سابق وقدر أن ينجو قوم آخر من البلاء في هذا الشهر. وليس من المستبعَد

ماذا يتعين على من يعبد من المسلمين الأولياءَ مثل السيد عبد القادر الجيلاني أو شاه مدار أو سخي سرور؟ ألا يتضرع أتباع هذه الفرق الآن؟ بلى، إن كل فرقة تستغيث بمعبودها بخشوع. تجوّلوا في أحياء شيعية فلن تجدوا بيتا إلا وقد ألصق على بابه البيت التالي:

لي خمسة أطفي بها حر الوباء الحاطمَهْ

المصطفى والمرتضى وابناهما والفاطمَهْ

كان أستاذي شيخا شيعيًّا وكان يقول: إن علاج الوباء ينحصر في الولاء والبراء، أي إبلاغ حب أئمة أهل البيت مبلغ العبادة، والمواظبة على سبّ الصحابة رضي الله عنهم وشتمِهم، إذ ليس ثمة علاج أفضل من هذا. ولقد سمعتُ أن الطاعون حين انتشر في بومباي بدر إلى أذهان الناس أنه كرامة للحسين رضي الله عنه، وذلك لأن الهندوس الذين تشاجروا مع الشيعة داهمهم الطاعون، ثم حين نزل المرض نفسه ساحات شيعية خفّت هتافات "يا حسين".

هذه هي المقترحات التي خطرت ببال المسلمين للتخلص من الطاعون، وهناك نشْرة صدرتْ من قبل القسيس "وايت بريخت" ومنظمتِه لإظهار

أن يكون المراد من هذا البلاء الطاعون، وينجو قوم من هذا البلاء بإطاعة المبعوث من الله. منه

أفكار المسيحيين في هذا الخصوص مفادها أنه ليس هناك وسيلةٌ ناجحة لدرء الطاعون سوى الإيمان بألوهية المسيح وكفّارته.

وتصرخ الفرقة الهندوسية "آرية دهرم" بأعلى صوهّا بأن سبب نزول الطاعون يكمن في أن الناس اتخذوا "الفيدا" مهجورا، ويجب على جميع الفِرق أن يؤمنوا بالمعرفة الحقة في الفيدا وأن يصِفوا الأنبياء كلهم بأنهم مفترون- والعياذ بالله- عندئذ سيفارقهم الطاعون.

وطائفة "سناتن دهرم" الهندوسية قدمت لدرء الطاعون رأيًا غريبا- وما كنا لنطّلع على هذا الرأي الغريب لو لم نقرأ جريدة "أخبار عام"- مفاده أن سبب الطاعون هذا يكمن في انتهاك حرمة البقرة، وإذا أصدرت الحكومة قرارا تفرض بموجبه الحظر على ذبح البقرة فسوف ترون كيف يغادر الطاعون البلاد بسرعة، ولقد ورد في الجريدة نفسها أن أحدهم سمع البقرة تقول: "لقد حلَّ الطاعون في البلاد بسبب انتهاك حرمتي."

والآن فكِّروا أنتم أيها القرّاء أيٌّ من هذه الأقوال المتباينة والدعاوى المتضاربة يمكن أن يلاقي ترحيبا واسعا وبدهيا من قِبل العالَم. كل هذه الأمور تتعلق بالمعتقدات في هذا الوقت الحرج، وقبل أن يتوصل الناس إلى نتيجة حاسمة للقضاء على الطاعون سيُقضى عليهم.

لذا فإن القول الأسرع إلى الفهم والأسهل إدراكًا والمدعوم بالبرهان هو الذي يليق بالقبول، وها أنذا أقدم هذا القول مع الدليل والبرهان.

لقد نشرتُ قبل أربعة أعوام نبوءة مفادها أن الطاعون الجارف على وشك الحلول في البنجاب، وقد رأيت أشجارًا سوداء للطاعون قد غُرست في كل مدينة وقرية من هذا البلد، وإذا تاب الناس فلا يمكن أن يتجاوز هذا المرض شتائين، ولسوف يرفعه الله. لكنهم بدلا من التوبة سبّوني وشتموني ونشروا إعلانات استخدموا فيها كلمات بذيئة في حقي، الأمر الذي تسبب في تفشي الطاعون الذي ترونه. إن الوحي الرباني المقدس الذي نزل عليّ ينص على ما يلي:"إن الله لا يغيرّ ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم. إنه آوى[1] القرية".. أي لقد أراد الله تعالى أن لا

---

[1] **الحاشية:** إن "آوى" كلمة عربية تعني الحفظ من الدمار والتشرد وتأمينَ اللجوء والأمان، وفيها إيحاء إلى أن الماحق من أنواع الطاعون هو ذاك الذي يسمى بالطاعون الجارف ويتهرب منه الناس متخبطين ويموتون كالكلاب، وهذه الحالة تفوق احتمال البشر، وفي كلام الله وعْد بأن قاديان لن تتعرض لمثل هذه الحالة، وهذا المعنى يشرحه وحْي آخر وهو: "لولا الإكرام لهلك المقام" أي لو لم يكن إكرام هذه الجماعة يعنيني لأهلكت قاديان أيضًا. نستدرك من هذا الوحي الرباني أمرين أولهما أنه إذا سُجلت حالة- يمكن احتمالها- بإصابة الطاعون على سبيل الندرة لا تؤدي إلى الهلاك ولا تفرض الفرار والتشرد، لأن النادر كالمعدوم، وثانيهما أنه من المؤكد أن المدن والقرى التي يقطنها المتمردون والشريرون والظالمون والمنحطون والمفسدون وألد أعداء الجماعة- مقابل قاديان- سيتفشى الطاعون الطاحن حتما لدرجة أنْ يفر الناس في كل طرف مخبولين. ولقد فسرنا كلمة "آوى" على سعتها، ونكتب بكل تحدٍّ بأن قاديان لن يلمسها الطاعونُ

يرفع بلاء الطاعون هذا أبدًا حتى يتخلى الناس عن الأفكار التي في صدورهم، أي لن يزول الطاعون ما لم يؤمن الناس بمن أرسله الله من عنده وبأمْر منه. وسوف يدرأ ذلك الإله القادر الطاعونَ الجارف عن قاديان، وذلك لتعرفوا أنها لم تُعصَمْ إلا لأن رسول الله ومبعوثه يقيم فيها. لاحِظوا الآن كيف يتحقق منذ ثلاث سنوات كلا الجانبين من النبوءة، أي لقد انتشر الطاعون في البنجاب بأسرها من جهة، ومن جهة ثانية فإن قاديان محمية منه، مع أنه يفتك بالناس على بُعد ميلَين في الجهات الأربع حول قاديان، بل كل من دخَل قاديان من الخارج حتى الآن وكان مصابا به فقد شُفي. فهل ثمة برهانٌ أقوى من أنه قد تحقق ما قلته قبل أربع سنوات. وقد ورد ذكر الطاعون قبل ٢٢ عامًا في كتابي البراهين الأحمدية،[١] وأنباء الغيب هذه لا يعرفها إلا الله، فالرسالة التي

الجارف الذي يلتهم القرى ويحوِّلها إلى قفر وخراب، لكنه من المحتم- مقابل ذلك- أن تحْدث الأحداث المريعة في المدن والقرى الظالمة المفسدة. إن قاديان هي القرية الوحيدة في العالم التي سبق لها هذا الوعْد من الله، والحمد لله على ذلك. منه

[١] **الحاشية**: لقد وردتْ في إعلان أخضر نشرتُه قبل عشر سنوات نبوءةٌ عن الطاعون نصُّها: "اصنع الفلك بأعيننا ووحينا. إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم".. أيْ اصنع الفلك التي تنقذ من الطاعون النازل... ولقد كُتبتْ جملة من هذا الوحي كنبوءة في البراهين الأحمدية وهي: "ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون".. أي لا تشفع عندي لأولئك الذين لا يكادون يكفّون عن الظلم والطغيان والتمرد والسيئة والعصيان لأنهم سيُغرقون. منه

حمّلني الله لدفع هذا المرض هي أن يؤمن الناس بقلب صادق بأني أنا المسيح الموعود. ولو كان هذا ادّعاء مني لا يرافقه دليل- كما فعَل ميان شمس الدين، الأمين العام لمنظمة حماية الإسلام بلاهور في إعلانه، أو كما فعَل القسيس وايت بريخت في نشرته- لكنتُ جديرًا بأن أُعَدّ من العابثين مثلهما، لكن ما تنبأت به من قبل قد تحقق اليوم بكل جلاء، وبعد ذلك قد أنبأني الله تعالى في هذه الأيام أيضا، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ:

"ما كان الله ليعذِّبهم وأنت فيهم. إنه آوى القرية. لولا الإكرام لهلك المقام. إني أنا الرحمن دافعُ الأذى. إني لا يخاف لديّ المرسَلون. إني حفيظ. إني مع الرسول أقوم وألوم من يلوم، أُفطر وأصوم، غضبتُ غضبًا شديدًا، الأمراض تُشاع والنفوس تضاع. إلا الذين آمنوا ولم يلبِسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. إنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها. إني أجهز الجيش، فأصبَحوا في دارهم جاثمين. سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم. نصْر من الله وفتْح مبين. إني بايعتُك، بايَعني ربي. أنت مني بمنــزلة أولادي[1]. أنت مني وأنا منك.

[1] لا يغيبن عن البال أن الله تعالى بريء من أن يكون له ولد أو شريك، ولا يحق لأحد أن يقول إني إله أو ابن إله، لكن هذه الجملة وردت هنا على سبيل المجاز والاستعارة كما وصف الله تعالى في كلامه المجيد يدَ رسوله ﷺ بمنــزلة يده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قائلا: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١١) كذلك قال ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ (الزمر: ٥٤) بدلا من أن يقول "قل يا عبادَ الله" وقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾

عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا. الفوق معك والتحت مع أعدائك فاصبر حتى يأتي الله بأمره. يأتي على جهنم زمان ليس فيها أحد."

الشرح: ليس من شأن الله أن يعذب أهل قاديان وأنت فيهم، إنه سيحفظ هذه القرية من فتْك الطاعون وإبادته. ولو لم يكن إكرامُك يعنيني لأهلكتُ هذه القريةَ، أنا الرحمن مُبْعِد الألم، إن رسلي لا يخافون عندي ولا هم يحزنون، إني رقيب، سأقوم مع رسولي وسألوم من يلوم رسولي، سأقسم أوقاتي إذ سوف أُفْطِرُ جزْءا من العام، أعني أُهلك الناس بالطاعون، وسأصوم جزءا منه، أي سيسود الأمن ويخفّ الطاعون أو يختفي تمامًا، إن غضبي يجيش ويثور، ستنتشر الأمراض وتَعْطَب النفوسُ إلا الذين يؤمنون إيمانًا غير ناقص فَهُمْ سوف يَأمَنُون وسيجدون طريق الخلاص، ولا تحسبوا أن المجرمين في مأمن، إنا نقترب من أرضهم، إنني أُعِدُّ جيشي سرّا، أي أُربِّي جراثيم الطاعون. فلسوف يرقدون في بيوتهم كالجَمل الجاثم الميت، سنُريهم آياتنا في أناس بعيدين أولًا ثم تظهر آياتنا فيهم، ستكون هذه الأيامُ أيامَ فتحٍ ونصرٍ مِن الله، أبرمتُ معك صفقةً؛

(البقرة: ٢٠١). فاقرأوا كلام الله بانتباه وحذر وآمِنوا به باعتباره من قبيل المتشابهات ولا تتدخلوا في كيفيته واتركوا حقيقته على الله، وثقوا بأن الله ﷻ تعالى بريء من اتخاذ الولد، إلا أن كلامه يضم كثيرًا من المتشابهات فاتقوا أن تتبعوا المتشابهات فتهلكوا. ولقد ورد عني وحيٌ صريح في البراهين الأحمدية وهو: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد، والخيرُ كله في القرآن." منه

أي كان لي شيء مُلَّكْتَه وكان لك شيء تملَّكْتُه، فاعترفْ أنت بهذه الصفقة وقلْ بايَعَني ربي. أنت مني بمنـزلة الأولاد، أنت مني وأنا منك، يوشك أن أقيمك في مقام تُثْني عليك الدنيا فيه وتحمدك، الفَوقُ معك والتحت مع أعدائك، فاصبرْ حتى يأتي يومُ وَعْد الله، سيأتي على الطاعون زمانٌ لن يبقى ثمة مصاب به، وأخيرًا سيسود الخير والعافية.[1]

ندرك من هذا الوحي بأكمله ثلاثة أمور:

١ - إنما ظهر الطاعون في الدنيا لأن المسيح الموعود المرسَل من الله لم يُرفض فحسب، بل أوذي وأزعج وحُبكت الدسائس لقتله وسُمِّي كافرًا

---

[1] **الحاشية**: لقد أخبرني الله تعالى قبل مدة عن الطاعون بلسان الغير قائلا: "**يا مسيح الخلق عَدوانا**" لكن اليوم بتاريخ ١٩٠٢/٤/٢١ أعيدَ الوحيُ نفسُه بالعبارة التالية: "يا مسيح الخلق عَدوانا، لن ترى من بعدُ موادَّنا وفسادنا" أي يا أيها المسيح الذي أُرسلتَ إلى الناس أَدرِكْنا، وقِنا بشفاعتك فإنك لن ترى موادنا الخبيثة ولن يبقى من فسادنا شيء.. أي سوف نُصلح أمورنا ونستقيم وننفض البذاءة والابتذال. وإن كلام الله هذا يطابق وحي الله الوارد في البراهين الأحمدية القائل: سنُنـزل الطاعونَ على الناس في الأيام الأخيرة، كما قال: "كذلك منّنا على يوسف لنصرف عنه السوء والفحشاء" أي سوف نحسن بالطاعون إلى يوسف هذا بإلجام ألسنة المسيئين ليكفّوا عن السب والشتم خائفين، وعن هذه الأيام أوحى الله ﷻ إليَّ على لسان الأرض قائلا: "يا وليَّ الله كنتُ لا أعرفك"، وتفصيل ذلك أنه قد جيء بالأرض أمامي في الكشف فكلّمتْني قائلة: كنتُ ما زلت لا أعرف بأنك وليُّ الرحمن. منه.

ودجالًا، فلم يشأ الله ﷻ أن يترك رسولَه بلا شهادة، لذا فقد جعل السماء والأرض تشهد على صدقه، حيث شهدت السماء بالكسوف والخسوف اللذَين حدثا في رمضان، وشهدت الأرض بالطاعون ليتحقق كلامُ الله الوارد في البراهين الأحمدية وهو: "قل عندي شهادة من الله فهل أنتم تؤمنون؟ قل عندي شهادة من الله فهل أنتم تُسلمون؟" أي إنني أملك شهادة من الله فهل ستؤمنون أو لا؟ ثم أقول مكررا إنني أملك شهادة من الله، فهل ستقبلون أو لا؟ والمراد من الشهادة الأولى الشهادة السماوية التي لا يرافقها أيُّ إكراه، لذلك استُخدِمت كلمة "تؤمنون"، أما الشهادة الثانية فللأرض.. أي الطاعون الذي يتضمن قسرًا إذ يُدخل الناسَ في الجماعة بالتخويف، لذلك استخدمت كلمة "تُسلمون".

٢ - الأمر الثاني الذي نستشفه من هذا الوحي هو أن الطاعون لن يغادر البلد إلا إذا قبِل الناس رسولَ الله تعالى أو توقّفوا عن الفتنة وإيذائه والإساءة إليه على الأقل، لأنه قد ورد الوحي الإلهي في البراهين الأحمدية بما معناه: سأُرسل الطاعون في الأيام الأخيرة لإلجام أفواه الخبيثين والأشرار الذين يسبّون رسولي.

والحقيقة أن مجرد إنكار رسول لا يستنــــزل الدمار والهلاك في العالم، بل إذا كفر الناس برسل الله بأدب وتحضُّر ولم يتطاولوا عليهم ولم يسيئوا إليهم فإن عقابهم مقدّر يوم القيامة، وكلما أرسل الطاعون في

العالم تأييدا للرسل فإنما كان عقابا على شرورهم وليس لمجرد الإنكار. وكذلك الآن إذا أقلع الناس عن الإساءة والظلم والاعتداء وتصرفاتهم الشنيعة وتعاملوا بأدب واحترام فسوف يُرفع عنهم هذا التنبيهُ، وعندئذ سيقبل الكثير من سليمي الفطرة رسولَ الله وينالون نصيبهم من البركات السماوية وستملأ الأرض بالسعداء.

٣ - الأمر الثالث الذي نستمده من هذا الوحي هو أن الله تعالى سوف يحفظ قاديان من الطاعون الجارف ما بقي في العالم- وإن امتدت أيامه لسبعين عاما- لأنها مقرُّ رسول الله، وهذه الحماية من الله بمنـــزلة إعجاز لسائر الأمم.

وإن كان أحد يرفض هذا الرسول من الله وإعجازَه هذا ويعتقد بأن الأدعية والصلوات التقليدية أو عبادةَ المسيح أو إجلالَ البقرة أو الإيمانَ بالفيدا مع المعارضة لهذا الرسول وعدائه ومعصيتِه تستطيع أن تدرأ الطاعون؛ فهذه الفكرة غير مقبولة بدون برهان، فكل من يريد إثبات صدق ديانته من بين جميع الملل فعليه أن يغتنم الفرصة السانحة، وكأن الله تعالى قد أقام معرضا ومختبرا لسبر صدق جميع الأديان وكذبها، وقد سبق الله بقطع الوعد معي أنه سيحفظ قاديان. الآن إذا كان أتباع فرقة الآريا يظنون بأن الفيدا حق فيتعين عليهم أن يتنبأوا بأن إلههم سيعصم مدينة "بنارس" من الطاعون لأنها المركزُ الأصلي لدراسات الفيدا،

ويتحتم على أتباع "سناتن دهرم" أن يتنبأوا عن مدينة "أمرتسر" مثلا التي تعجّ بالبقرات أنها ستحفظ من الطاعون إكراما للبقرة! فإذا تمكنت البقرة من تقديم هذا الإعجاز فليس من المستبعد أن تحظر الحكومة ذبح هذا الحيوان القادر على إظهار المعجزات! كذلك يجب على النصارى أن يتنبأوا بأن الطاعون لن يدخل مدينة "كلكوتا" لكونها مقرّ أكبر أساقفة الهند البريطانية، كذلك ينبغي أن يتنبأ ميان شمس الدين وأعضاءُ "منظمة حماية الإسلام" أن لاهور سوف تصان من الطاعون.

وللمنشي إلهي بخش المحاسب الذي يدّعي تلقّي الإلهام من الله فرصةٌ سانحة ليؤيد منظمةَ حماية الإسلام بنبوءته عن حماية لاهور، ومن المناسب أن يتنبأ عبد الجبار وعبد الحق هما الآخران عن حماية مدينة "أمرتسر" من الطاعون! ولما كانت دلهي هي المركزَ الحقيقي للفرقة الوهابية، لذا ينبغي أن يتنبأ نذيرُ حسين ومحمد حسين بأنها ستُحفَظ من الطاعون، وهكذا ستكون البنجاب كلها في مأمن من هذا المرض الفتاك ومن ثم تتخلص الحكومة من المسؤولية، وإن لم يفعلوا ذلك فسوف يُفهَم أن الإله الحق هو الذي أرسل رسوله في قاديان.

وأخيرًا لا يغيبن عن البال أنه إذا سكَت هؤلاء الذين من بينهم المدّعون بتلقي الإلهام من المسلمين والبانديتات الهندوس والقساوسة

المسيحيون فسيثبتُ كذِبُ هؤلاء جميعًا، وسيأتي يوم تثبت فيه قاديان بلمعانها مثل الشمس أنها مقرّ صادقٍ.

وأخيرًا فلْينتبهِ ميان شمس الدين إلى أن ما كتبَه في نشْرته عن آية ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾[1] وترجّى استجابة الدعاء، فهذا الرجاء باطل لأن كلمة المضطر في كلام الله تخص المتضررين الذين تضرروا ابتلاءً فقط وليس عقابًا، وإن الذين يعانون آلامًا عقابًا فلا ينطبق عليهم مدلول هذه الآية، وإلا كان من اللازم أن يستجاب لقوم نوح ولقوم لوط ولقوم فرعون وغيرهم عند الاضطرار، لكن هذا لم يحدثْ، بل دمّرتْهم يدُ الله وأهلكتْهم، وإن سأل ميان شمس الدين: أيُّة آية تناسبهم إذن؟ قلْنا إنها آيةُ ﴿مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ﴾[2].

لما كان من المحتمل أن يخطئ بعض الأغبياء في استيعاب مدلول هذه النشرة لذا نكرّر أداءً لواجب الدعوة أن هذا الطاعون المتفشي في البلاد ليس إلا بسبب وحيد يعود إلى رفض الناس لهذا الموعود من الله؛ الذي ظهر في الألفية السابعة بحسب نبوءات الأنبياء جميعا و لم يكفر به الناس فحسب، بل قد أطلقوا على مسيح الله هذا الشتائمَ وكفّروه وأرادوا قتله وفعلوا به ما شاءوا، لذلك فقد شاءت غيرة الله أن تنبّههم إلى فظاظتهم

---

[1] النمل: ٦٣

[2] غافر: ٥١

هذه وإساءتهم. وقد سبق أن أنبأ الله في الصحف المقدسة السابقة أن الطاعون الفتاك سوف ينـــزل عند نزول المسيح عقابا على إنكار الناس إياه، فكان من المقرر والمقدر أن ينـــزل الطاعون. وقد سُمي الطاعون طاعونا لكونه ردًّا على الطاعنين، كما كان ينـــزل في بني إسرائيل عند طعنهم، والطاعون لغةً "شديدُ الطعن"، وفي ذلك إشارة إلى أن الطاعون لا ينـــزل في بداية الطعن والتشنيع وإنما ينـــزل حين يؤذَى رسول الله والمبعوث منه من قِبَلهم أيما إيذاء ويهان.

فيا أعزّتي! ليس للطاعون علاج سوى أن تستجيبوا لهذا المسيح بإخلاص وقلب صادق، فهذا علاج مؤكد. وثمة علاج آخر أقل منه شأنًا وهو أن يمتنع الناس عن إنكاره وأن يكبحوا الألسنة من البذاءة وإطالة اللسان عليه وأن يعظموه في قرارة قلوبهم. أقول صدقا وحقًّا إنه يأتي زمان بل قد حان؛ حيث يُهرع الناس فيه إليّ قائلين: "يا مسيح الخلق عَدوانا" وهذه العبارة كلام الله تعالى، وتعني: يا من أُرسلْتَ للناس مسيحًا اشفعْ لمرضنا المهلك هذا. ثقوا بأنه لا شفيع لكم اليوم سوى هذا المسيح باستثناء سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا الشفيع ليس بمنأى عن الرسول ﷺ، بل إن شفاعته ليست في الحقيقة إلا شفاعة سيدنا المصطفى ﷺ. يا أيها المبشرون بالمسيحية لا ترددوا الآن "ربُّنا المسيح"، وانظروا أنّ فيكم اليوم من يفوق ذلكم المسيح درجةً. ويا معشر الشيعة لا

تُصروا على أن سيدنا الحسين هو مخلِّصكم، لأنني أقول صدقًا وحقًّا: إن فيكم اليوم مَن يفوق ذلكم الحسين. وإن كان قولي هذا من عندي فأنا كاذب، لكنني إذا كنت مدعوما بشهادة من الله فلا تبارزوا الله لئلا تُعَدّوا من محاربيه، وفرّوا إليّ فإن الوقت لم يفُتْكم بعد. وإن الذي يلجأ إليَّ في هذا الوقت أشبّهه بمن يركب السفينة في وسط الطوفان، لكن الذي لا يؤمن بي أراه يُلقي بنفسه في الطوفان ولا يملك ما يَتوقّى به. إنني أنا الشفيع الصادق الذي هو ظلٌّ للشفيع الجليل الشأن الذي لم يصدِّقه عميانُ زمانه وازدرَوه أيما ازدراء.. أعني سيدنا محمدا المصطفى ﷺ. لذا انتقم الله الآن من المسيحيين على هذا الذنب بكلمة واحدة، وذلك لأن القساوسة المسيحيين قد اتخذوا عيسى ابن مريم إلها وأطلقوا على سيدنا ومولانا الشفيعِ الحقيقي مسبّات وشتائم ونجَّسوا الأرض بالكتب المسيئة. فقد أرسل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه الأمة مسيحا موعودا إزاء ذلك المسيح الذي سمِّي إلها، وإن هذا المسيح الأخير يفوق المسيح الأول شأنا وسمّى الله هذا المسيح الآخر "غلام أحمد" ليشير كيف يمكن أن يكون مسيح النصارى الذي لا يقدر على مواجهة خادم حقير لسيدنا أحمد ﷺ إلها. أي ما شأن هذا المسيح الذي هو أقل درجةً من خادم أحمد ﷺ في التقرب والشفاعة! يا أعزائي ينبغي أن لا يثير قولي هذا حفيظتَكم، فإن كنتم لا تعتبرون خادم أحمد هذا الذي أُرسل مسيحا موعودا أفضلَ من

المسيح الأول وتصفونه بأنه هو الشفيع والمخلِّص، فبرهِنوا على ادعائكم هذا. وكما أن الله تعالى قد قال عن هذا الخادم لأحمد (ﷺ): "إنه آوى القرية، لولا الإكرام لهلك المقام"، أي حفظ الله قرية قاديان من الطاعون إظهارا لإكرام هذا الشفيع، وها أنتم تشاهدونها محميةً منذ خمس سنين أو ستٍّ، ثم قال: لو لم أُرِدْ إظهار عزة هذا الخادم لأحمد ﷺ وإكرامِه، لأنزلتُ الدمار في قاديان أيضًا. كذلك إن كنتم تصِفون المسيح ابن مريم بالمنجّي والمخلّص والشفيع الصادق في الحقيقة فعليكم أن تسمّوا مقابل قاديان مدينة من مدن[1] البنجاب بأنها ستُحفظ من الطاعون ببركة ربكم المسيح وشفاعته. وإنْ لم تفعلوا ذلك فعليكم أن تتفكروا في أنّ الذي لم تتحقق شفاعته في هذا العالم كيف يشفع في العالم الآخر؟ وليتذكر ميان شمس الدين أنّ نشْرته لن تنفعه شيئا ولن يستفيد منها شيئا، إذ ليس ثمة علاج سوى ما بيّنّاه. وليتذكر أنه قد سبق أن تعرَّض لهوان هو ومنظمتُه من قبل الحكومة البشرية لمعارضتهم لي حين طالبوا الحكومة بمعاقبة مؤلف كتاب أمهات المؤمنين وكنت قد نهيتُهم عن ذلك، وأخيرا ثبت صوابُ رأيي، والآن أيضا لن يتحقق لهم ما أرادوا من وراء إرسال المذكرة إلى الحكومة السماوية، فهي عديمة الجدوى ولغو وخالية من أي

[1] يمكن أن تسموا مدينة "نارووال" أو "بتاله" على سبيل المثال، منه.

تأثير مثل سابقتها، والمذكرة الحقة هي تلك التي أعددتُها أنا ولن تجدوا بدا من الاعتراف بها في نهاية المطاف.

[١]"كلٌّ ما يفعله العاقل فإنما يفعله الغبي أيضا، لكن بعد مواجهة الخزي والهوان الشديدينِ."

إن الفرصة سانحة للشيخ أحمد حسن الأمروهي ليبارزني. ولقد سمعنا أنه يتكبد مشاقّ كثيرة لحماية معتقداته الشركية مثل المشايخ الآخرين لينقذ المسيح ابن مريم من الموت بأيّة وسيلة ممكنة لكي يجعله خاتم الأنبياء بإنزاله من السماء مرة أخرى. وإنه يستاء من بعثة المسيح الموعود من هذه الأمة المرحومة وفق منطوق سورة النور وحديث صحيح البخاري "إمامكم منكم" وحديث صحيح مسلم "أمَّكم منكم"؛ ليزيد المسيحُ المحمدي النبوةَ المحمدية شأنا وتألقا في العالم بظهوره مقابل المسيح الموسوي.

وليس ذلك فحسب بل يريد هذا الشيخ مثل إخوته أن ينـــزل المسيح ابن مريم نفسه مرة ثانية- الذي قد غاص في وحل الضلال ٥٠٠ مليون شخص باتخاذه إلهًا- واضعًا يديه على أكتاف الملائكة لكي يقدم مشهدا جديدا للألوهية، ويضم ٥٠٠ مليون آخرين إلى الذين سبقوهم، لأنه لم يره أحد صاعدا إلى السماء، فيصدق عليه معنى المثل الفارسي: "لا يطير المشايخُ، لكنّ مريديهم جعلوهم يطيرون". أما الآن فسيراه العالم بأسره

---

[١] مثل فارسي مترجَم. (المترجم)

نازلا من السماء مع الملائكة، وسوف يحاجِج القساوسةُ المشايخَ قائلين: ألم نقُل لكم إنه هو الإله؟ إلى أين سيؤول مآلُ الإسلام في ذلك اليوم النحس؟ وهل سيبقى الإسلام في الدنيا؟ لعنة الله على الكاذبين. لقد جعلوا المدفون في حارة خانيار في سرينغر ظلما منهم يتبوّأ السماءَ بغير حق، فما أشنعه من ظلم! لا شك أن الله تعالى قادر على كل شيء مع التزامه بالقواعد التي سنّها، لكنه لن يبعث مرة أخرى رجلا أهلكت العالَمَ فتنتُه الأولى. هل يعرف هؤلاء المشايخ- الذين هم أصدقاءُ الإسلام السفهاءُ- كم دعمت هذه المعتقدات المسيحيين؟ والآن لا يريد الله تعالى أن يهب ابن مريم عظمة جديدة، بل إنه قد استاء لما جرى حتى الآن من إطراء المسيح وتقريظه. ولذلك سيقول له: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾؟[١]

وإن التطلع إلى السماء الآن لترقُّب نزول ابن مريم لَمن السفاهة البالغة، غير أن جميع العلماء الذين اعتقدوا بنــــزول ابن مريم من السماء قبلي بناء على خطأ في اجتهادهم معذورون عند الله، وينبغي ألا نسيء إليهم إذ لم يكن في نيَّاتهم أي فساد، فقد أخطأوا بمقتضى بشريتهم، عفا الله عنهم. إنهم لم يؤتَوا علمًا وكان خطأهم في الاجتهاد مثل خطأ سيدنا داود عليه السلام الذي صدر منه في الاجتهاد في قضية غنم القوم، لكن الله تعالى فهّم نجله سليمان. كما ورد في الصفحة الأخيرة من كتاب

---

[١] المائدة: ١١٧

البراهين الأحمدية قبل ٢٢ عاما من اليوم: "ففهّمناها سليمان" وهذا الوحي الرباني يعني- كما يتبين من الإلهامات الواردة في "البراهين" المذكورة أعلاه- أن هؤلاء الناس سيعترضون قائلين: هل كان العلماء القدامى يدركون من القرآن والحديث ما تستشفه أنت؟ فيردّ الله على ذلك ويقول: نعم كذلك الأمر بالضبط وليس ذلك من المستبعد، وذلك لأن علماءكم ليسوا أنبياء وقد أخطأ داود- وهو نبي- في اتخاذ ذلك القرار، ثم فهّم الله القضيةَ ابنَه سليمانَ. فإن سليمان هذا الذي جُعل مسيحا موعودا على صواب مقابل علمائكم كما أن سليمان النبي كان صائبا في ذلك القرار إزاء أبيه سيدنا داود.

وإذا كان الشيخ أحمد حسن لا يرتدع بأي شكل من الأشكال، فقد آن الأوان أن يدرك من خلال القرار السماوي؛ أي إذا كان في الحقيقة يعدّني كاذبا ويرى إلهاماتي افتراءَ الإنسان ولا يعتبرها كلام الله، فالطريق الأسهل عليه أن ينشر مثلا نبوءة "إنه آوى أمروههَ" كما نشرتُ أنا بعد تلقي الوحي من الله "إنه آوى القرية، لولا الإكرام لهلك المقام". ومن سنة الله ﷻ أنه يسمع للمؤمنين، لكن مِن أي أنواع المؤمنين هذا الذي لا يستجاب دعاؤه بينما يستجاب مقابلَه دعاء من يسميه دجالا وملحدا ومفتريا؟

فكما استجاب الله تعالى دعواتي ووعدني بأنه سيحفظ قاديان من البوار الذي يؤدي إلى موت الناس كالكلاب بالطاعون ويفرض التشرد والانتشار، كذلك يتعين على المولوي أحمد حسن أن يتضرع ويبتهل إلى الله تعالى ليتلقى منه وعدا بحماية أمروهة من الطاعون. ويمكن أن ينال دعاؤه عند الله القبول، لأن الطاعون ما زال على بُعد ٢٠٠ ميل من أمروهة، بينما يجتاح القرى والمدن من جهات قاديان الأربعة وعلى بُعد ميلَين فقط، وهذا سباق بيّن يتضمن للناس خيرا، ويضمن التمييز بين الصدق والكذب أيضا. وذلك لأنه لو مات المولوي أحمد حسن نتيجة اللعان، فلن تترتب على موته أيّة منفعة لأمروهة، لكنه إذا تمكن من أخذ العهد من الله تعالى بحماية أمروهة من الطاعون من أجل مسيحه الخيالي، فحينئذ لن يسجل على منافسه الانتصارَ فحسب، بل ستكون له مِنّةٌ على أهل أمروهة أيضا، لدرجة أنْ يستحيل عليهم أداء شكره. ومن المناسب أن ينشر موضوع هذه المباهلة بإعلان مطبوع في مدى ١٥ يوما من صدور منشوري هذا، ويجب أن ينص ذلك الإعلان على العبارة التالية:

"أنشر هذا الإعلان مقابل مرزا غلام أحمد الذي يدّعي بأنه المسيح الموعود، وأعلن أنا المؤمن متوكلا على استجابة الدعاء أو بتلقي الوحْي من الله أو الرؤيا، بأن أمروهة سوف تبقى في مأمن من الطاعون قطعًا، أما قاديان فستتعرض له يقينا، لأنها مسكن المفتري."

وبسبب هذا الإعلان يُبتّ في القضية على الأغلب حتى الشتاء القادم أو على الحد الأقصى إلى الشتاء بعد القادم أو بعده، وإن كان الطاعون سيبدأ بالتراجع من شهر مايو/أيار بحسب سنة الله تعالى وستبدأ أيامُ صيام الله، إلا أنه من المرجح أن يُفطر الله في بداية شهر نوفمبر/تشرين الثاني سنة ١٩٠٢. وسيتبين عند هذا الإفطار بجلاء مَن وقع في قبضة ملَك الموت. ولما كانت البنجاب أقرب إلى مسكن المسيح الموعود، وأولُ مُخاطَبِيه هم أهل البنجاب، فابتدأت هذه العملية أول الأمر من البنجاب. لكن أمروهه ليست بعيدة عن متناول همة المسيح الموعود، لذا من المؤكد أن يُدرك نفَسُ المسيح الموعود- قاتلُ الكفار- أمروههَ أيضا، وهذا تحدٍّ مني وادّعاء.

وإذا استطاع المولوي أحمد حسن أن يعصم أمروهه بعد صدور هذا الإعلان منه- الذي سينشره مقرونا بالحلف- ثم مضى عليها فصول شتاء ثلاثة على الأقل بأمن وسلام، فلستُ من الله. وأي حكم أوضح وأنسب من هذا؟

أما أنا فأقول حالفا بالله بأني أنا المسيح الموعود الذي تنبأ الأنبياءُ بظهوره، وقد ورد الخبر عني وعن زماني في التوراة والإنجيل والقرآن بأن الخسوف والكسوف سيحدثان في السماء في ذلك الوقت، وأن الطاعون سيجتاح الأرض. ومن معجزاتي أنه إذا حلف أحد من

معارضيّ الساكنين في أمروهة أو في أمرتسر أو في دلهي أو في كلكوتا أو في لاهور أو في غولره أو في بطاله بأن المكان الفلاني سوف يسلم وينجو من الطاعون، فأنا أؤكد بدوري أنه **سيتعرض حتما** للطاعون، لأنه أبدى تصرفا مسيئا إلى الله عز وعلا. وهذا الأمر لا يقتصر على المولوي أحمد حسن فقط بل قد آن أوان المواجهة العامة من السماء. فكل من يحسبني كاذبا مثل الشيخ محمد حسين البطالوي، والشيخ مهر علي الغولروي الذي قد صدّ الكثير من الناس عن سبيل الله، وعبد الجبار وعبد الحق وعبد الواحد الغزنوي- الذي يدّعي تلقّي الوحي من الله- وهم من جماعة المولوي عبد الله، والمنشي إلهي بخش المحاسب الذي جعل المولوي عبد الله سيِّدا بادعاء تلقي الوحي من الله ضدي، ولم يتقزز من الكذب الصريح إلى هذه الدرجة، وكذلك نذير حسين الدهلوي الظالم بطبعه والذي أسس التكفير.. يتحتم على جميع هؤلاء أن يحافظوا على شرف إلهاماتهم وإيمانهم بهذه المناسبة وينشروا إعلانا بأن مدنهم ستُعصَم من الطاعون، ففي ذلك تكمن مصلحة الشعب والنصحُ للدولة، بالإضافة إلى إثبات رفعتهم، ومن ثم سيُعَدّون في زمرة الأولياء الصالحين، وإن لم يفعلوا فقد ختموا على كذبهم وافترائهم، ونحن سننشر عن قريب في هذا الخصوص إعلانا مفصلا بإذن الله.

والسلام على من اتبع الهدى.

إعلان عام لأفراد جماعتي كلهم عن شخص من سكان جامون يُدعى "جراغ دين"

لما كان هذا الرجل قد نشر إعلانا أو إعلانين عن الطاعون مدعيا تأييده لجماعتنا وانضمامه إلى أفراد الجماعة المبايعين، فقد سمحت له بنشره لأني كنت قد اطلعت على جزء منه إجمالًا و لم أطلع على جزئه الأخير والمثير للاعتراضات؛ وسمحتُ له بنشره إذ لم أر حرجا في نشره، لكني مع الأسف- بسبب كثرة الناس وانشغال بالي بالأفكار الأخرى- لم أستطع الاطلاع على ما انطوى عليه الهامش من الكلمات الخطيرة والادعاءات السخيفة. وكان سماحي له بنشره ناجما عن حسن الظن، وحين قرئ عليَّ ليلةَ أمس مقالٌ آخر لــ "جراغ دين" نفسه، أدركتُ أنه خطِر جدا وسامّ وضارّ للإسلام ومليء من البداية إلى النهاية باللغو والأباطيل. فقد ادّعى فيه أنه رسولٌ بل من أولي العزم من الرسل. وكتب أيضا أن مهمته تحقيق **الصلح** بين المسلمين والمسيحيين وإزالةُ **الخلاف** بين القرآن والإنجيل، وأنه سوف يسدي هذه الخدمة كحواري من حواريّي ابن مريم، ويجب أن يُدعى رسولا. وكل واحد يعرف أن القرآن لم يصدر أي بيان للتصالح مع التوراة والإنجيل، بل إنه يصف هذه الكتب بأنها محرفة ومبدلة وناقصة غير كاملة، واستأثر بتاج: ﴿الْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]. ونحن نؤمن بأن كل هذه الكتب، أي التوراة والإنجيل ليست لها أية قيمة مقابل القرآن وأنها ناقصة ومحرَّفة ومبدَّلة. والخير كله في القرآن، كما ورد قبل ٢٢ سنة في البراهين الأحمدية إلهام: **"قل إنما أنا بشر مثلكم يوحَى إلي أنما إلهكم إله واحد، والخير كله في القرآن، لا يمسّه إلا المطهَّرون."** (انظر كتاب البراهين الأحمدية، ص ٥١١)... أي إنما يدرك حقيقته أطهار القلوب.

وعن أي كتاب يجب أن نبحث دون القرآن؟ وكيف نعدّه ناقصا وقد أخبرَنا الله تعالى أن الدين المسيحي قد مات نهائيا والإنجيل كتاب ميت وناقص؟ فأين الميت من الحي؟ فلا وِفاق لنا مع الدين المسيحي؛ فإنه رديء وباطل بأسره ولا كتاب اليوم تحت السماء سوى الفرقان الحميد. ولقد ورد في البراهين الأحمدية قبل ٢٢ سنة إلهام عني تجدونه في الصفحة ٢٤١ منه وهو: **"ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم. قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين. الفتنة ههنا فاصبر كما صبر أولو العزم. وقل رب أدخلني مدخل صدق."** أي لن يتم التوافق بينك وبين اليهود والنصارى أبدا ولن يرضوا عنك. (المراد من النصارى هنا القساوسة ومؤيدو الأناجيل).

---

[1] المائدة: ٤

ثم قال تعالى: لقد خرقوا لله بنات وبنين بغير حق من عند أنفسهم، ولا يدرون أن ابن مريم كان رجلا متواضعا، ولو شاء الله لخلق شخصا يماثل ابن مريم أو أفضل منه كما فعل. لكنه ﷻ أحد لا شريك له ويتعالى عن الولادة والموت وليس له أي كفء. وفيه إشارة إلى أن المسيحيين لـمّا كانوا يصرخون بأعلى أصواتهم بأن المسيح هو الآخر واحد لا نِدّ له في التقرب والجاه، فقال الله تعالى انظروا الآن سأخلق له مثيلا يتفوق عليه وهو غلامُ أحمدَ أي خادم أحمد (ﷺ).

[1]"إن كأس أحمد تهب الحياة، وما أجملَ اسم أحمد هذا

والله إن مقام أحمد ومركزه ومكانته لأرفع من مائة ألف نبي

لقد أكلنا من ثمار بستان أحمد، وإن بستاني هو كلام أحمد.

اتركوا ذكر ابن مريم، فإن غلامَ أحمد أفضل منه"

هذه الأقوال ليست بنات أفكار شاعر، بل إنها حقائق ثابتة. وإن لم تُثبت التجارب والأحداث والزمن أن الله تعالى يؤيدني ويدعمني أكثر من دعمه لابن مريم، فأنا كاذب مفترٍ مختلق. إن الله تعالى لم يفعل كل هذا لي، بل لنبيه المظلوم (ﷺ).

وإليكم الآن معنى الجزء المتبقي من الإلهام: إن المسيحيين سوف يكيدون لإيذائك وسيكيد الله تعالى وتكون تلك الأيام أيام بلاء، قلْ رب أدخلني

[1] ترجمة أبيات أردية. (المترجم)

أرضا مقدسة، فهذه هجرة روحية وتعني- ولا زلت أفهم- أن التغيير سيحدث في الأرض في آخر الأمر وسوف تشرق الأرض صدقا وحقا.

ففكِّروا الآن أليس بيننا وبين المسيحيين بعد المشرقين، إن الإنسان المقدس الذي نعدّه أفضل الخلق يصفه المسيحيون بأنه مفترٍ، ولن يتحقق الصلح إلا إذا أبدى كل فريق استعداده للتخلي عن بعض أفكاره. وكيف يتأتى لنا الصلح مع أن ديننا وكتابنا يعدّ الدينَ المسيحي نجسا وخبيثا بأكمله، وأنه هو الحق. إن مآل العداء الديني الشرس لهذه الدرجة لا يمكن أن يكون صلحا أبدا، بل المآل هو أن ينقرض الدين الكاذب ويفنى وأن يقبل الصدقَ جميعُ الطيبين في العالم. عندئذ ستكون نهايةُ العالم، ويستحيل أن نتفق مع المسيحيين في الأمور الدينية فلا نردّ عليهم إلا بالقول ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[1]. فما أخبث الرسالةَ هذه التي ادّعاها "جراغ دين". ومما يثير الغيرة أن الرجل يعدّ نفسه من مريديّ ثم يتفوه بكلمات نجسة أنه رسول المسيح ابن مريم لعقد التصالح بين الديانتين! لعنة الله على الكافرين.

أنى لنا أن نتصالح مع المسيحية التي قال الله عنها في كلامه المجيد: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ﴾[2]؟!

---

[1] الكافرون: ٢-٣

[2] مريم: ٩١

ثم هذا الزعم- مع عقله الناقص وإدراكه القاصر وطهارته الناقصة- بأنه رسول الله؟! ما أشدّه من انتهاك لحرمة جماعة الله الطاهرة! وكأن الرسالة والنبوة ألعوبة أطفال! ولا يعي لسفاهته أنه وإن كان بعض الرسل في قديم الزمان بُعثوا مؤيِّدين لبعض الرسل في زمنهم مثل هارون مع موسى عليهما السلام، إلا أن خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء مستثنى من ذلك. وكما لم يكن مع سيدنا رسول الله ﷺ أي مبعوث أو رسول آخر وكان الصحابة يتبعون الهادي الوحيد، كذلك هنا يتبع الجميعُ هاديا واحدا، ولا يجوز لأحد أن يُدعى رسولا والعياذ بالله.

أما نزولنا فليس مقصورا على رفقة مَلكينِ فقط، بل يرافقنا ألوف من الملائكة. فالذين يعكفون على إعانتي ومؤازرتي من سنين هم محمودون عند الله، وقد ثبتتْ إعانتهم عندي وعند ربي. أما "جراغ دين" فأيّة خدمة قدَّمها لنا؟ فإن وجوده أو عدمه سيّان. إن عمر هذه الجماعة يناهز ثلاثين سنة، بينما ظهر هو في هذا العالم قبل بضعة أشهر فقط، ولا أستطيع أن أعرفه من ملامح وجهه ولم يمكث بصحبتي، ولا أعرف في أي مجال يريد أن يساعدني، هل سيساعدني على تحقيق معجزة الكتابة باللغة العربية، أو سوف يعينني في بيان معارف القرآن، أو يدعمني في المباحث الدقيقة التي أخوضها في مجال علوم الطبيعة والفلسفة في أثناء الحوار مع المسيحيين والفِرق الأخرى؟ وإنني أعرف أن أقدامه لم

تطأ هذه الدروب كلها، وإنما دفعتْه **النفس الأمارة**- خطأً- إلى إطراء نفسه والثناء عليها، وها أنا أعلن أنه **مطرود** من جماعتنا من يومنا هذا حتى يتخلى عن ادعاء هذه الرسالة الخبيثة نهائيا وينشر **توبته** مفصلا ويكفّ ويرتدع عن ادعاء هذه الرسالة النجسة إلى **الأبد**.

وا أسفاه**!** لقد انتهك لغطرسته الكاذبة حرمةَ أنصارنا الصادقين واعتبر الدين المسيحي المثير للاستهجان مساويا للإسلام درجة. فنحن لا نعبأ بأي شخص مثله، ولا يقدر هؤلاء على أن يُلحقوا بنا أي ضرر أو ينفعونا. ويجب على أفراد جماعتنا أن **يجتنبوا** أمثال هؤلاء **كليًّا**. فحين سمحنا له بنشر كتاباته ما كنا مطلعين عليها جيدا، أما الآن فيجب أن **تمزَّق** كل هذه الكتابات.

والسلام على من اتبع الهدى

المعـــــــــــــــــــــلن

العبد المتواضع

ميرزا غلام أحمد من قاديان

١٩٠٢/٤/٢٣م

طبع في مطبعة ضياء الإسلام بقاديان عدد النسخ: ٥٠٠٠

حاشية رقم ١

بينما كنت أكتب هذا المقال عن "جراغ دين" غلبني نعاس خفيف أوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إليَّ أثناءه: "**نزل به جبيز**"، أي قد نزل "جبيزٌ" على "جراغ دين" لكنه حسبَه إلهاما ورؤيا. إن كلمة "جبيز" في الأصل تطلق على الخبز اليابس الذي لا طعم له ولا حلاوة فيه ولا يكاد الحلق يستسيغه. وتطلق أيضا على الرجل اللئيم البخيل الذي غلبت على طبعه الخسة والدناءة والبخل. والمراد من كلمة "جبيز" هنا أحاديثُ النفس وأضغاث الأحلام التي لا يرافقها النور السماوي بل تنطوي على آثار البخل، وهذه الأفكار وليدة المجاهدات الجوفاء، أو هي إلقاء الشيطان عند الأماني، وتنــزل هذه الأفكار على القلب حين يتمنى المرء تلقي الإلهام بسبب الجفاف والمواد السوداوية فيه. ولما كانت مثل هذه الأفكار خالية من أيّة روحانية فقد أُطلق عليها في المصطلح الإلهي اسمَ "جبيز" وعلاجُه التوبة والاستغفار والتخلي الكامل عن هذه الأفكار، وإلا فيُخشى أن تؤدي كثرة الجبيز إلى الجنون. حمى الله الجميع من هذا البلاء. منه.

حاشية رقم ٢

لقد تلقيت ليلة الأمس وعند خسوف القمر على وجه الدقة عن "جراغ دين" الوحي التالي: "**إني أُذيب من يريب**"، أي سأُفني وسأدمر وسأنزِل الغضب إذا ارتاب ولم يؤمن به ولم يتب عن الادعاء بأنه مبعوث ورسول، ولم يطلب العفو عن تقصيره من أنصار الله الذين ينصرفون إلى الخدمة والإعانة من سنين طويلة ويصاحبوننا ليل نهار. وذلك لأنه أهان جميع مخلصي الجماعة، حيث قدّم نفسه عليهم أجمعين، مع أن الله تعالى قد ذكرهم في البراهين الأحمدية مرارا وأثنى عليهم ووصفَهم بالسابقين وقال في حقهم: "**أصحاب الصُّفّة وما أدراك ما أصحاب الصُّفّة**".

و"جبيز" هو الخبز اليابس الذي يتعذر على الأسنان مضغُه، بل قد يكسر الأسنانَ ويصعب على الحلق ابتلاعُه ويخرق الأمعاء ويسبب القولنج، وقد أنبأنا الله تعالى باستخدام هذه الكلمة أن رسالة "جراغ دين" هذه وإلهامه، ليس إلا مجرد جبيز، وأنها ستؤدي به إلى الهلاك، لكن الآخرين الذين يهينهم، تنــزل عليهم مائدة، وهم ينالون حظا كبيرا من رحمة الله تعالى.

[1] "إن المائدة شيء والخبز اليابس شيء آخر تماما، فالخبز اليابس ليس جديرا بالأكل البتة أيها الغبي.
إن المائدة تُقدَّم للأصدقاء بحبّ واحترام، بينما يقدَّم الخبز اليابس لغيرهم.
كما أن الخبز اليابس يُطرح أمام الكلاب، أما المائدة فتقدَّم بحبّ إلى الأعزة.
فارجع إلى الصواب واترك الخبز اليابس، وإذا كانت لديك فراسة فاعشق تلك المائدة."

مـــنـــــــه

لقد سُمِّي هذا الكتيب

دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء.



[1] ترجمة أبيات فارسية. (المترجم)

كيف يمكن

التخلّص من الإثم؟

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام

المسيح الموعود والإمام المهدي

أودّ أن أبين للناس في هذه المجلة أنه بقدر ما تطوَّر عصرنا الحاضر من الناحية المادية فهو في انحطاط بالقدر نفسه من الناحية الروحانية؛ حتى لم تعد الأرواح تحتمل لتمس الحقائق المقدسة، بل يثبت من إمعان النظر في حالة الناس أن هناك جذبا قويا كامنا يجرهم إلى الأسفل، فيتحركون باستمرار إلى الدرك الأسفل الذي يمكن وصفه بتعبير آخر بأسفل سافلين. وقد طرأ على المواهب انقلاب بحيث يمدح الناس بشدة متناهية جمال أشياء مكروهةٍ وبشعة للغاية من حيث المنظور الروحاني. كل ضمير يشعر بأن جذبا يجره إلى الأسفل باستمرار. وقد هلك العالَم بالتأثيرات المدمّرة لهذه الجذبات. يُنظر إلى الحقائق المقدسة باستهزاء وسخرية، ويُعَدّ التوجه الصادق والحقيقي إلى الله حمقا وغباوة. تتراءى جميع النفوس الموجودة على الأرض عاكفةً على الدنيا تماما وكأنهم مضطرون ومقهورون بسبب قوة جاذبة خفية. هذا ما كتبتُه من قبل أيضا بأن نظام الدنيا كله يجري بسبب الجذبات فقط. فالجانب الذي توجد فيه قوة اليقين الأقوى يجذب الجانبَ الثاني إلى نفسه. وما دامت صحيحة تماما الفلسفةُ القائلة بأنه لا يمكن أن يمنع جذبًا إلا الجذبُ الذي هو أقوى وأمتن منه بكثير، فإن تحويل اتجاه الدنيا -التي تنجرف إلى الأسفل متأثرة بالجذب السفلي- إلى الأعلى أمرٌ ميؤوس منه ما لم ينشأ من السماء جذب مضاد وقوي جدا يزيد الجانب المعاكس يقينًا؛ بمعنى

أنه ينبغي أن يرى المرء بنظر اليقين منافع ومُتعًا في أحكام الله الــرحمن أكثر مما يراها في المنكرات الناتجة عن الأهواء النفسانية، ويــرى بنظــر اليقين أيضا ارتكاب السيئة كالموت تماما لدرجة يأخذ بشغاف قلبــه. ونور اليقين هذا يأتي من السماء فقط بواسطة الشمس الذي هو إمــام الوقت. لذا فإن عدم معرفة إمام الوقت هو موت الجاهلية. والذي يقول بأنه لا يريد الحصول على النور من هذه الشــمس يــنقض ســنّة الله المستمرة. هل يمكن أن ترى الأعين من دون الشمس؟ صحيح أن هناك نورا في الأعين ولكنه بحاجة إلى الشمس. الشمس هي النور الحقيقــي الذي ينــزل من السماء وينوّر الأرض، والأعين بغيره عمياء. والــذي يحرز اليقين بواسطة هذا النور السماوي سيُجذب إلى الحسنات. والمعلوم أن نشوب المعركة بين الجذب السماوي والجذب الأرضي أمر طبيعي، لأنه في هذه الحالة سيجرّ جذبٌ إلى الحسنة وجذبٌ آخر إلى الســيئة، وسيدفع جذبٌ إلى المشرق وجذبٌ آخر إلى المغرب. وسيكون التصادم بين الاثنين في غاية الخطورة حين يحتوي كل واحد منهما على جــذب شديد، ووجودهما ضروري في زمن يكون فيه العالم على أعلى مدارج الرقي. فمتى رأيتم أن الأرض تطورت إلى أقصى الغايات فــاعلموا أن تلك الأيام هي أيام حدوث التطور في السماء، وتيقّنوا أن هناك استعدادا روحانيا فيها، وقد نشأ هنالك أيضا جذبٌ ينــوي محاربــة الجــذب

الأرضي. فالأيام التي تبلغ فيها الأرض في الغفلة والسيئة منتهاها تكون مخيفة للغاية، لأنها هي الأيام الموعودة للحرب الروحانية التي بيّنها الأنبياء باستعارات متنوعة. وقد قدمه البعض في مثال بأنها الحرب الأخيرة بين ملائكة السماء وشياطين الأرض، التي عليها ستكون نهاية الدنيا. ولكن البعض حسبوها لجهلهم وغباوتهم حربا مادية تحارَب بالسيوف والبنادق، ولكنهم مخطئون إذ عدُّوا الحرب الروحانية حربا مادية بسبب حمقهم وسفالة عقلهم.

باختصار، هناك معركة شرسة حامية الوطيس في هذه الأيام بين ظلمة الأرض ونور السماء. لقد أشار أنبياء الله المقدسون جميعا منذ زمن آدم حتى نبينا الأكرم ﷺ إلى هذه المعركة. ولقد سمِّي قادتها باسمين مختلفَين. أحدهما يخفي الحقائق والآخر مُظهِرها. وقيل بتعبير آخر أن النازل من السماء بصحبة الملائكة النورانيين سيكون مَظهَر ميكائيل، والخارج من الأرض مع كافة الظلمات الشيطانية سيكون مَظهر إبليس.

والآن، حين نرى أن الجيش الأرضي على استعداد تام وهم مدجَّجون تماما، ومنشغلون في أعمالهم بل أنجزوها أيضا إلى حد كبير، تنشأ أمنية حسنة بصورة طبيعية وتشهد الفراسة السليمة أن الملكوت السماوي أيضا ليس بغافل عن تلك الاستعدادات. ولكن من عادة الملكوت السماوي أنه لا يحب الضجيج والغوغاء، بل يقوم بإجراءات

كثيرة في الخفاء دون أن يعرفها الناس. عندها تظهر في السماء آية، وتظهر على الأرض منارة منيرة وبيضاء شديدة البياض ثم ينزل ذلك النور السماوي على المنارة فتنوِّر المنارةُ العالَمَ كله.

هذه الفقرة الوجيزة بحاجة إلى الشرح، وبيان ذلك أنه مع أن سلسلة الله الروحانية تماثل السلسلة المادية تماما ولكن من بعض النواحي توجد فيها خواص عجيبة لا يمكن أن تلاحَظ بصورة بيّنة في السلسلة المادية؛ فمن جملتها خاصية أنه عندما يبدأ الجذب السفلي عمله فمع أنه معارض تماما للجذب السماوي ولكن يبدأ الجذب السماوي بالنشوء نتيجة المتطلبات الطبيعية لذلك الجذب. فمن المعقول تماما أن تحدث المعركة بينهما في وقت يكون فيه هذان الجذبان في منتهى قوتهما، وذلك الوقت هو الزمن الأخير من الدنيا لأن انتصار أحدهما يقتضي القضاء على الفريق الآخر. فكلما تساوى الفريقان في القوة والشوكة فلا بد أن تنشب الحرب بينهما لأن كلا منهما قد تم بيانه في صحف أنبياء الله كنبوءة. كذلك يرى العقل أيضا هذا الأمر ضروريا، لأنه عندما يصطدم جذبان متعاكسان وقويان فلا بد أن يدمِّر أحدهما الآخر أو يفنى كلاهما. ولقد ذُكرت هذه الحرب في كتب الأنبياء، بأنه عندما مضى على بعثة المسيح عليه السلام ألف عام كان الشيطان قد صُفِّد خلالها بحسب نبوءات الأنبياء ثم بدأ الجذب السفلي يستتب على الأرض. كان هذا هو

الزمن الذي تعرّض فيه الإسلام للانحطاط من حيث مبادئـه المقدسـة وتوقّف تقدُّمه الروحاني، وانتهت انتصاراته الظاهرية أيضا. وقد وُلـد الإسلام في الزمن الذي صُفِّد فيه الشيطان، وكان مـن الضـروري أن يحدث ذلك كما شهد جميع الأنبياء حتى يوحنا اللاهوتي. ثم بدأ انحطاطه وتوقَّف تقدّمه عند فكّ أسر الشيطان، أي بعد عام ١٠٠٠ المـيلادي. منذ ذلك الوقت بدأت مكايد الشيطان في أساليب متنوعة وظل هـذا الغراس ينمو في الأرض، وتفرعت بعض أغصانه في الشـرق وبعضـها وصلت إلى أقاصي المناطق المأهولة في الغرب، وتوجّه بعضها إلى الجنوب وبعضها إلى الشمال. فكما كان عصر أسر الشيطان ممتدا إلى ألف عام والتي شهدت لها الأحداث الخارجية، كذلك امتد زمن فكّ أسره أيضا نحو ألف عام بحسب نبوءات الأنبياء وانتهى على رأس القرن الرابع عشر الهجري. ولكن هذه الألفية محسوبة بحسب حساب الله تعالى أي بحسب التقويم القمري. وهذا هو التقويم الذي علّمه اللهُ اليهودَ والمسلمين لمعرفة مواعيد الأنباء، والتقويم الشمسي بدعة ابتدعها الناس وتنافي مقتضـى الصحف المقدسة.

باختصار، إن أيام مهلة الشيطان الأخيرة بحسب هذا التقـويم هـي الأيام الراهنة التي نحن فيها، بل كأنها انقضت، لأن القرن الهجري الذي على رأسه اكتملت الألفية لفكّ أسر الشيطان قد انقضى منه نحـو ١٩

عاما. والشيطان لا يريد أن تُنـــزع منه الحرية والسلطنة. لذا لا بد من نشوب الحرب التي كانت مقدرة منذ القِدم بين قوتَي الجـــذب. ومـــن المستحيل أن يبطل كلام الله. والشهادة الأخرى على هذه الأيام هي أنه قد انقضت منذ بدء الخليقة أي منذ آدم عليه السلام الألفية السادسة التي كان من المفروض أن يولَد فيها آدم الثاني، لأن اليوم السادس هو يوم ولادة آدم. وألف سنة بحسب كتب الله المقدسة هي كمثل يوم واحد. فلا بد من التسليم بحسب وعود الله تعالى بأن ذلك الآدم قـــد وُلـــد، وإن لم يُعرَف إلى الآن بوجه كامل. ولا بد من التسليم أيضا إلى جانب ذلـــك أن مقرّ آدم هذا الذي قُدِّر بيد الله تعالى هو الشرق وليس الغرب، لأنه ثابت من التوراة ٢: ٨[١] أن آدم أُعطي مكانا في جنة شـــرقا. فكـــان ضروريا أن يُبعث آدم هذا أيضا في بلد شرقي حتى تبقى المماثلة قائمـــة من حيث المكان بين الأول والأخير. وكمـــا لا يســـع المســـلمين إلا الاعتراف بذلك، كذلك لا مجال للمسيحيين للتهرب أيضا بشـــرط ألا يمنعهم عِرق الإلحاد. فلا تبقى هناك أية مشكلة لفهم الحقيقة الناصـــعة، بل القضية واضحة تماما بأن الزمن الراهن هو زمن الحرب بـــين النـــور والظلام. وقد أبلغ الظلام أمرَه منتهاه، ولا يؤمَل أن يتغلب أحد علـــى

---

[١] "وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ". (سِفْرُ التَّكْوِينِ ٢ : ٨) (الناشر)

هذا الظلام دون نزول النور السماوي. وليس هناك أدنى شك في أن الظلام على أشدّه، وأن مصباح الحق شبه المنطفئ على وشك الفناء. وليس بوسع المعتقدات التقليدية والعلوم التقليدية والصلوات التقليدية أن تستعيد هذا الضوء المفقود. هل يستطيع الأعمى أن يُري الأعمى طريقا؟ وهل للظلام أن يزيل الظلام؟ كلا، ثم كلا. وإنما هناك حاجة الآن إلى منارة جديدة لتُبنَى على الأرض وتعلو على العمران السفلي بتفوّق، لينزل عليها نور سماوي ويوضع عليها المصباح السماوي، لِيُنوَّر بضوئه العالم كله، فأنَّى لنور المصباح أن ينتشر إلى أبعاد شاسعة ما لم يوضَع المصباح في أعلى مكان؟

والآن، بقي أن تفهموا ما هي المنارة؛ فليكن معلوما أن المنارة هي نفس مقدسة ومطهّرة وذات عزيمة عالية يُعطاها الإنسانُ الكامل الذي يستحق نوال النور السماوي، حيث يتضمن معنى المنارة هذا المفهوم. والمراد من علوّ المنارة هو علوّ عزيمة ذلك الإنسان. والمراد من قوة المنارة هو استقامة ذلك الإنسان التي يبديها عند الابتلاءات المختلفة وبياضه هو براءته التي تتبين في نهاية المطاف. وعندما يتم كل ذلك، أيْ تتبين براءته -بعلوّ همته وكمال استقامته وصبره وصموده وبالأدلة- كالمنارة الساطعة، عندها يحين وقت مجيئه الجلالي وتنتهي مرحلة المجيء الأول المصحوب بالابتلاءات. عندها تنزل تلك الروحانية متصبغة بصبغة

جلال الله على شخص قائم كالمنارة. وفي ذلك الحين تتولد فيه التأثيرات الإلهية بإذنه تعالى. هذا كله يحدث عند المجيء الثاني. وإن مجيء المسيح الموعود بأسلوب خاص صورة كاملة لهذه الحقيقة. هناك روايات رائجة بين المسلمين أن المسيح الموعود سينزل على المنارة. ولكن المراد من النزول هو المجيء الجلالي الذي تحالفه الصبغة الإلهية، وليس معناه أنه لم يكن موجودا على الأرض من قبل. ولكن من الضروري أن تُبَوِّئه السماء عندها إلى أن يحين الوقت الذي قدّره الله.

ومن سُنّة الله أيضا أنه من أجل ترسيخ الأمور الروحانية في الأذهان يخلق لها بعض جوانبها المادية أيضا، مثل هيكل بيت المقدس والكعبة في مكة المعظمة. فهاتان الصورتان تمثلان تجليات روحانية. وبناء على ذلك قد قيل في الشريعة الإسلامية بأن المسيح الموعود سينزل على المنارة أو عند المنارة في بلد شرقي دمشق، كما أُعطي آدم أيضا مكانا في الجانب الشرقي. ولا ضير في بناء المنارة الظاهرية أيضا قبل هذا المجيء الجلالي، بل توجد في الأحاديث نبوءة أنها ستكون علامة المجيء الجلالي للمسيح الموعود وستُبنى قبل مجيئه. ومن المقدّر أن مجيء المسيح الموعود سيكون على نوعين. أولا: المجيء العادي المصحوب بشتى أنواع الابتلاءات، وهذا الوقت سيكون وقت أصناف المعاناة. وعندما تنتهي هذه الأيام عندها يحين المجيء الجلالي. وضروري أن تُبنى منارة قبل ذلك الحين،

كما ذُكر في الأحاديث أنه ستكون هناك لإظهار هذه الحقيقة منارةٌ ظاهرية أيضا، وستكون صورةً للمنارة الباطنية. والدنيا لا تعرف ذلك النازل قبل أن ينـزل بالجلال لأنه ليس من الدنيا. ولا تحبه الدنيا لأنها لا تحب الإله أيضا الذي جاء هو منه. فلا بد أن يؤذَى في أثناء مجيئه الأول، ويعذَّب وتوجَّه إليه تُهم شتى كما جاء في النبوءات الإسلامية بأن المسيح الموعود لن ينال القبول في بداية الأمر، وستتفاقم تجاهه ضغائن الجهلاء وتبلغ شرورهم منتهاها، فيحسب الذي يهاجمه ظلما وعدوانا أنه كسب حسنة عظيمة، ويحسب من يؤذيه أنه أرضى الله تعالى بفعلته هذه. وسيظل الحال على هذا المنوال وستحل به ألوان الزلازل وستُواجهه كل أنواع المصائب حتى تتحقق فيه سنة الله. عندها سيأتي وقت مجيئه الجلالي وتُفتح أعيُن القلوب المستعدة فيفكرون بأنفسهم: ما القصة؟ وأيّ نوع كاذبٍ هذا الذي لا يُهزم ولا يُغلَب؟ ولماذا تحالفه تأييدات الله ولا تحالفنا؟ عندها سينـزل على قلوبهم ملاك الله ويفهِّمهم: هل الأنباء في أحاديثكم ورواياتكم التي تعرقل سبيلكم حتمية الوقوع؟ ألا يمكن أن يكون بعضها موضوعا أو خاطئا؟ أَوَلا يجوز أن تتحقق بعض الأنباء على سبيل الاستعارات؟ هل كان هناك سبب آخر لشقاوة اليهود وعدم إيمانهم إلا أنهم ظلوا منتظرين أن تتحقق كل هذه الأمور ظاهريا وبحسب مزاعمهم ولكن لم يحدث شيء مما

أرادوا؟ فما دام الإله نفسه موجودا الآن أيضا، ولا تزال سنته هِيَ هِـــيَ فلماذا لا يمكن أن تكونوا أنتم أيضًا قد واجهتم الابتلاء نفسه؟

باختصار، سيعود الناس إلى الأفكار نفسها بطبيعتهم في نهاية المطاف كما ظل الحال منذ القِدم. ولكن ليس صحيحا أن العصر الراهن هـــو عصر الحروب المادية لنشر الصدق والدين الحق، لأن السيف لا يمكن أن يُظهر محاسن الحق، بل يغطّيها ويجعلها مشبوها فيها. والذين يميلون إلى هذه الأفكار ليسوا أصدقاء الإسلام بل أعداءه. وإن طبائعهم منحطـــة وسافلة جدا وهممهم هابطة، وقلوبهم منقبضة وأذهانهم بلهاء، وطبائعهم مظلمة لأنهم يعطون المعارضين فرصة الاعتـــراض -وهـــو في محلـــه في الحقيقة- لأن الإسلام محتاج لارتقائه إلى الجهاد القتالي بحسب زعمهم. وهذه إساءة إلى الإسلام لأن الدين الذي يملك القوة ليثبت صدقه بكل سهولة بأدلة عقلية أو بنوع آخر كشهادات جديرة بالتمســـك بهـــا أو بآيات سماوية؛ فهو ليس بحاجة إلى أن يُكره أحدا على قبـــول صـــدقه بالجبر أو التهديد بالسيف. ولكن إذا لم تكن في دين ما هـــذه الميـــزة الذاتية، بل كان يتدارك ضعفه بقوة السيف، فلا حاجة إلى دليل آخـــر على بطلانه، بل سيفه يكفي لقطع جذوره.

أما الاعتراض بأنه إذا كان الجهاد القتالي غير جـــائز الآن فلمـــاذا استُخدم السيف في صدر الإسلام؟ فهذا خطأ المعترضـــين أنفســـهم،

ومنشؤه عدم العلم. إنهم لا يدرون أن الإسلام لا يجيز الإكراه قط لنشر الدين. انظروا كيف جاء المنع من ذلك في القرآن الكريم حيث يقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1]، فلماذا رُفع السيف إذًا؟ الحقيقة أن الناس الهمجيين من العرب الذين لم يبق فيهم شائبة من الأدب والتحضر صاروا أعداء ألداء للإسلام والمسلمين. وعندما أُتمَّت عليهم حجة التوحيد والحقائق الإسلامية بالأدلة البيّنة ووُضّح لهم جيدا أنه من الخطأ الفادح أن يعبد المرء أصناما مع كونه إنسانا، لأن ذلك يعارض الإنسانية أيضا، فلم يطيقوا جوابا على هذه الأمور المعقولة. وبسبب عدم قدرتهم على الجواب نشأت في العقلاء حركة إلى الإسلام. فانفصل الأخ عن الأخ والأب عن الابن. فلم يجدوا حيلة لإنقاذ دينهم الباطل إلا أن يمنعوا الناس من الانضمام إلى الإسلام بعقوبات قاسية. عندئذ بدأ "أبو جهل" وغيره من زعماء مكة يفعلون ذلك في مكة المعظمة. المطّلعون على تاريخ صدر الإسلام يعرفون جيدا ما صبّه المعارضون من المظالم في مكة، وكم من الأبرياء قتلوهم ظلما، ومع ذلك لم يرتدع الناس عن الإسلام لأن حتى من يملك عقلا سطحيا يعرف وضوح الإسلام ومعقوليته مقابل عبادة الأوثان. ولما لم ينجح كيدهم هذا أيضا بحسب مبتغاهم قرروا أن يقتلوا النبي ﷺ. ولكن الله تعالى أنقذه وأوصله إلى

[1] البقرة: ٢٥٧

المدينة، فلاحقوه ليقتلوه، ولم يتخلّوا عن سلوكهم بأي حال. فما كانت في يد الإسلام حيلة إلا أن يدافع ضد تلك الهجمات ويعاقب الذين كانوا يهاجمون بغير حق.

إذًا، فإن حروب الإسلام لم تكن لنشر الدين بل لإنقاذ حياة المسلمين. هل يقبل عقل سليم أن الإسلام عجز عن إثبات معقولية التوحيد حتى لعبدة الأوثان الهمجيين؟ هل لعاقل أن يقبل بأن الإسلام كان مغلوبا على أمره من حيث الحجة أمام المشركين الذين كانوا يعبدون الأحجار والجمادات، وكانوا ملوَّثين بأصناف الأرجاس، وكان يريد أن ينجز مهمته بالسيف؟ العياذ بالله! كلا، هذه الأفكار ليست صحيحة قط. والذين وجّهوا إلى الإسلام اعتراضات من هذا القبيل قد أخفوا الحق ظلما منهم.

صحيح أن المشايخ أخذوا نصيبا من هذا الظلم، لكن القساوسة لا يقِلُّون عنهم في هذا المجال، حيث رسّخوا في أذهان عامة الناس كلام المشايخ قليلي الفهم بتوجيه اعتراضات من هذا القبيل إلى الإسلام. فزعم عامة الناس أنه ما دام مشايخنا يفتون بالجهاد، وكذلك القساوسة، وهم أصحاب العلم، يثيرون الاعتراضات نفسها؛ فيثبت من ذلك أن الجهاد[1] مسموح به في ديننا. ما أعظمه من ظلم ارتُكبَ إذ أُلصق هذا الاعتراض

---

[1] أي فكرة الجهاد العدواني. (المترجم)

بالإسلام بشهادتين! لو لم يسلك القساوسة هذا المسلك وقالوا بأمانة التزاما بالحق والصدق بأن هؤلاء المشايخ يفتون هذه الفتوى جهلا وغباوة منهم وإلا فإن الظروف التي أدّت إلى هذه الضرورة في صدر الإسلام لم تعد موجودة في الزمن الراهن، لكان من المأمول أن تختفي فكرة الجهاد المذكورة من الدنيا نهائيا. ولكن لما كان الإفراط في الحماس والتفريط في الفهم، لم يَفهموا الحقيقة.

صحيح تماما أنه عندما استحق العرب القتلَ في نظر الله نتيجة كثرة أعمالهم المفسدة وبسبب سفكهم الدماء بغير حق، عندها صدر الأمر أنهم يستحقون القتلَ، ولكن مع ذلك لو آمنوا لرُفعت عنهم عقوبة القتل. ولعل المعارضين قليلي الفهم انخدعوا من هذا الحكم. إنهم لا يفقهون أن هذا ليس إكراها بل هو تخفيف عن الذين كانوا يستحقون القتل، ولا غباوة أكبر من عدِّه إكراها. فقد استحق هؤلاء القتل لقتلهم لا لكفرهم. وكان الله الرحيم أيضا يعرف جيدا أنهم مدركون لصدق الإسلام جيدا فقد اقتضت رحمته أن يُعطى المجرمون الواجبُ قتلهم فرصة للعفو عن ذنوبهم. فيتبين من ذلك أيضا أن الإسلام لم يرِد قط أن يقتل أحدا بل الذين استحقوا القتل نتيجة سفكهم الدماء أوجد لهم أيضا طريقا للعفو. ففي ذلك الزمن واجه الإسلام هذه المشاكل في كل مكان لأن العناد كان متفاقما ضده في كل قوم؛ وكان إذا أسلم أحد

من أيّ قوم تعرض للقتل أو صارت حياته في خطر دائـــم وأصـــبحت جحيما. ففي هذه الأوضاع اضطر الإسلام إلى خوض الحروب لإرســـاء دعائم الأمن. وبدون هاتين الحالتين لم تخطر الحرب ببال الإسلام قط في ذلك الزمن من الابتلاء أيضا. لم يهدف الإسلام إلى خوض الحروب من أجل الدين ولكنه أُكره عليها بغير حق. فكل ما حدث على صعيد الواقع كان من أجل حماية الحرية وللدفاع. ولكن المشايخ قليلي الفهم أضـــافوا إلى هذه القضية حواشيَ من عند أنفسهم واعتبروا الوحشـــية المخجلـــة افتخارا لهم. ولكن هذا ليس خطأ الإسلام بل هو قصور عقول هـــؤلاء القوم الذين يعُدّون دم الإنسان أرخص من دم الدواب أيضا، و لم يشبعوا من سفك الدماء إلى الآن بل ينتظرون مهديا سفاكا لهذا الغرض. وكأنهم يريدون أن يثبتوا لجميع الأقوام أن الإسلام كان بحاجة إلى الجبر والإكراه دائما من أجل انتشاره، وليس فيه أدنى صدق أو حق.

يبدو لي أن المشايخ في العصر الحاضر ليسوا راضين بالانحطاط الذي يواجهه الإسلام حاليا فحسب، بل يريدون أن يذهبوا بـــه إلى الـــدرك الأسفل بإصرارهم على هذه المعتقدات. ولكن اعلَموا يقينـــا أن الله لا يرضى بأن يكون الإسلام عُرضة لمثل هـــذه التـــهم واللـــوم. يكفـــي للمعارضين الجهلاء ابتلاءً أنهم مازالوا ثابتين على فكرتهم القائلـــة بـــأن الإسلام ظل يستخدم السيف للإكثار من عدد جماعته في الـــزمن الأول

وبعده أيضا. لقد آن أوان اقتلاع هذا الخطأ من الأذهان بدلا من ترسيخه أكثر من ذي قبل. لو ركّز المشايخ المسلمون مجتمعين على أن يزيلوا هذا الخطأ من أذهان المسلمين الهمجيين لكانت هذه منّة عظيمة لهم على القوم دون أدنى شك. وليس ذلك فحسب بل لَظَهَرَ للناس أساس محاسن الإسلام العظيمة بواسطتهم، ولزالت جميع أنواع الكراهية التي يكنّها تجاه الإسلام معارضوه على أساس الدين نتيجة أخطائهم. عندها تصبح أنظارهم نقية وتستفيض سريعا من ينبوع النور هذا. من الواضح أن أحدا لا يقرب شخصا سفاكا بل يخافه الجميع وترتعب النساء والأولاد خاصة بمجرد رؤيته، فهو يتراءى كالمجنون، ويخاف معارضٌ ينتمي إلى دين آخر أن يبيت عنده خشية أن يقتله ليلا ليُسمَّى مجاهدًا، لأنه ما زالت في بعض سكان التخوم عادة أنهم -لكسب الثواب بهذه الطريقة كما يزعمون- يسفكون الدماء بغير حق ويزعمون أنهم كسبوا الجنة اليوم بعمل واحد واستحقوا جميع نِعمها.

فكم هو مخجل أنه قد رُفع الأمان عن الأقوام الأخرى في جوار المسلمين ولا تطمئن قلوبهم أن هذا القوم سيحسن إليهم إذا سنحت لهم فرصة!

نواجه في كثير من الأحيان مواقف نرى فيها شخصا من قوم آخرين مرتعبا مذعورا بسبب هذا المعتقد الكامن عند المسلمين.

لقد سبق لي أن شاهدت مشهدا، ولعل تاريخه يعود إلى ٢٠/١١/١٩٠١م حين جاء إلى قاديان شخص إنجليزي وكان لفيف من أفراد جماعتي مجتمعين حينها وكان الحديث يدور حول موضوع ديني، فجاء الشخص المذكور ووقف جانبًا، فدعوتُه بلطف وأجلسته بقربي. وتبين أنه سائح إنجليزي وقد زار بلدا من البلاد العربية أيضا ويريد أن يصوِّر أفراد جماعتنا. فساعدناه في ذلك، وقلنا له جبرا لخاطره ومراعاة له أن يمكث عندنا بضعة أيام. ولكن تبين أنه كان خائفا، وقال بأنه رأى كثيرا من المسلمين الذين يقتلون المسيحيين دون هوادة. فسرد بعض القصص من هذا القبيل من بغداد حيث وقعت مثل هذه الأحداث دون رحمة. فوضحنا له الأمر بلطف وتودُّد أن هذه الفِرقة التي تسمى الجماعة الأحمدية بريئة من تلك المعتقدات براءة تامة، وتكره هؤلاء الناس بشدة. والذي تهدف إليه هذه الفرقة في مجال حقوق البشر هو أن تستأصل مثل هذه الأفكار من الإسلام. عندها اطمأن قلبه وبات عندنا ليلة هانئ البال.

الهدف من بيان هذه القصة هو أن هذه المعتقدات التي لا علاقة لها بحقيقة الأمر قد ألحقت بالأمم الأخرى أضرارا كثيرة ونشأ النفور وسوء الظن في قلوبهم. وتضاءل في قلوبهم حسن الظن بمواساة المسلمين الصادقة. وإذا بقي منه شيء فبالذين لا يعيشون على نهج المشايخ ولا

يهتمون بالالتزام بمبادئ الإسلام شيئا. فلما تفاقم سوء الظن بالمسلمين إلى هذا الحد -مع أن المسلمين أنفسهم هم السبب وراءه- فأي ذنب أكبر من أن هؤلاء العلماء ومريديهم حرَموا العالم من بركات الإسلام؟ هل يمكن أن يكون من الله دين لا يستطيع أن يرسّخ في القلوب تعليمه ما لم يُر بريق السيف؟ الدين الحق هو ذلك الذي يُنجز عمل السيف بمحاسنه الذاتية وقوته وأدلته القطعية دون الحاجة إلى سيف من حديد.

هذه هي المفاسد التي تقتضي في كل حين وآن أن يُبعث مصلح. عندما نتأمل في حالة الإسلام الداخلية نجدها مخيفة، وكأن شمسا أصابها الخسوف وأظلم جزء كبير منها ولم يبق منها إلا نزرٌ يسير فقط. إن حالة المسلمين العملية لجديرة بالرحمة. وقد وُضعت بعض الأحاديث التي تؤثر سلبا وبشدة على أخلاقهم وتعادي القوانين التي وضعها الله تعالى. فمثلا قد سنّ قانون الله تعالى حقوق الإنسان من ثلاثة أنواع؛ وهي: لا تقتلوا شخصا بريئا، ولا تهتكوا عِرض بريء، ولا تأخذوا مال أحد بغير حق. ولكنني أرى أن بعض المسلمين نقضوا هذه الأوامر الثلاثة فنراهم يسفكون دم الأبرياء ولا يخافون، وقد أصدر مشايخهم الحمقى فتاوى تجيز إغواء نساء الأقوام الأخرى -يسمونهم كافرين وملحدين- بحيلة من الحيل أو سبيَهن وجعل نكاحهنّ جائزا. وكذلك تجيز غصبَ أموال الكفار أيضا بالخيانة والسرقة، ولا إثم في ذلك!

الآن، يجب التأمل في الحالة الخطيرة لذلك الدين الذي تطـرّق إليـه الفساد إلى درجة يُصدر فيه المشايخ مثل هذه الفتاوى! لقـد اختـرع المغرضون كل هذه الفتاوى من عند أنفسهم وافتروا على الله والرسول. إن مسؤولية هذه الآثام التي يرتكبها هؤلاء الهمجيـون الأغبيـاء تقـع عليهم. إنهم ذئاب ولكنهم يظهرون في لباس الشياه ويخدعون. إنهم سموم ولكن يُظهرون أنفسهم ترياقا مفيدا. إنهم يسيئون كثيرا إلى الإسلام وإلى خلق الله، وقلوبهم خالية من الرحمة والمواساة ولكنهم يخفون خبايـاهم. يعظون بالمكر السيّء ويهتمون بأهدافهم الشخصية. يأتون المسـاجد في لباس الزهّاد وتكون عادات فِسقهم خافية. هذه الحال لا تسود بلـدا واحدا، ولا يقتصر الأمر على مدينة معينة أو فرقة معينة بل توجـد في العالم الإسلامي كله فئة تُدعى علمـاء، يلبسـون عبـاءات المشـايخ ويُظهرون أنفسهم كأناس ملتزمين قدر استطاعتهم ليُعَـدُّوا صـالحين ومقدسين جدا، ولكن تشهد أعمالهم على ماهيتهم وكيفيتهم وسيرهم. لا يريدون أن تنتشر في العالم طهارة حقيقية ولا مواسـاة صـادقة لأن ذلك يسبب لهم خسارة.

فالحاصل، أن الإسلام في دوامة المشاكل في هذه الأيام. لقد ماتـت معظم الأرواح، وليس فيها أدنى حركة إلى الحسنات. لقد ترك النـاس الاعتدال نهائيا. فيهم فئة يعبدون القبور ويطوفون حولها كالطواف حول

الكعبة. ويحسبون أرواح مرشديهم قادرة ومتصرفة وكأن الله خوَّلها في كل شيء. ستجدون بجانب معظم الزوايا قبرا يطلب أصحابها من مريديهم أن يعبدوه. وإذا طلب منهم أحدٌ كرامة سردوا آلاف الكرامات لصاحب القبر دون دليل على إحداها. إن مغزى الإسلام عندهم هو عبادة القبور، ويحسبون المسلمين الآخرين كلهم ضالين. هذه فئة أفرطوا، وبإزائهم توجد فئة التفريط أيضا الذين تجاوزوا الحدود في الإنكار، بحيث ليست النبوة أيضا شيئا يُذكر عندهم دع عنك الولاية. ينكرون المعجزات تماما ويضحكون عليها ويسخرون. ويؤِّولون الوحي على أنه أفكارُ قلبِ صاحب الكتاب، فهو بارع في اختراع مثل هذه الأفكار! والنبوءة البعيدة عن حدود فراسة العقل والمبنية على خبر الغيب الخالص مستحيلة عندهم. باختصار، يرون أن الوحي لا ينزل من عند الله وليست المعجزات بشيء يُذكر، ولا حقيقةَ للنبوءات، وأن قبور الموتى ليست إلا كومة من التراب ليست للأرواح معها علاقة قط، وأن قيام الموتى قصص من زمن بعيد عن العقل، وأن التفكير في الآخرة حمقٌ. والعقل كله يكمن في الحصول على مؤهلات لكسب الدنيا. ويريدون أن يتبعوا الذين يعكفون على الدنيا وملذاتها ومشاغلها ليل نهار فيكونوا مثلهم تماما.

هذا الإفراط والتفريط يتعلق بمسألة النبوة والمعاد. هذا، وهناك إفراط وتفريط بين المسلمين في جميع أمور عِشرتهم. لا يوجد اعتدال في الكلام ولا في العمل، ولا في الأخلاق ولا في النكاح ولا في الطلاق ولا في الإمساك ولا في الإنفاق، ولا في الغضب ولا في الرحمة، ولا في الانتقام ولا في العفو.

لُباب الكلام أن طوفان الفوضى الغريبة سائد في هذا القوم، إذ لا نهاية للجهل ولا حدود للضلال. فلما بلغ القوم الذي ظهر في العالم لابسا لباس التوحيد والاعتدال هذا الحد من عدم الاعتدال فكيف نتأسف على أمم أخرى وماذا نقول عنهم؟!

إن مركز المسيحيين أرضٌ كانت الفطنة ولطافة القوى الدماغية تعطي فيها آمالا كبيرة، ولكن نقول مع الأسف بأنهم أيضا قرأوا الفلسفة والعلوم الطبيعية فيما يتعلق بالدين والتوحيد وأضاعوها. فحين نرى من ناحية أنهم قد بلغوا المنتهى من حيث أمور الدنيا والتخطيط وترتيب الأمور واكتشاف الصنائع الجديدة كل يوم، ثم نرى من جهة أخرى أنهم انحطوا إلى الدرك الأسفل في مسألة معرفة الله حتى حسبوا إنسانا ضعيفا رب العالمين؛ نحتار بشدة ونضطر إلى القول: عجبا لهذا الذهن المتوقد في أمور الدنيا، وعجبا لهذه الفطنة والذكاء في معرفة الله!!

عندما نتأمل فيما يميز بين المسيحيين والمسلمين من حيث الإفراط والتفريط، يتبين أن في المسلمين أناسا كثيرين يُتلفون حقوق البشر، أما في المسيحيين فأناس يُتلفون حقوق الله، لأن خطأ المسلمين في قضية الجهاد قد أدّى إلى قسوة قلوبهم لدرجة لم تعد في قلوبهم مواساة حقيقية للبشر، لذلك يستعد الهمجيون منهم لسفك دماء الأبرياء لأدنى أغراضهم النفسانية أو لثورة شيطانية، ولا يقصّرون في هتك الأعراض وغصب الأموال أيضا. وقد وصموا الإنسانية بإتلافهم جزءا هاما من حقوق البشر. ثم عندما نتأمل في أحوال المسيحيين يتبين بجلاء تام أنهم لم يدّخروا جهدا في إتلاف حقوق الله، واتخذوا إنسانا ضعيفا إلها دون مبرر، ولكن لم يتحقق هدفهم الذي ألّهوه من أجله. إذا كان الإيمان بكفارة يسوع المسيح هو الوصفة الوحيدة لطهارة الإنسان من الذنب فلماذا لم تنجح في تطهير الناس في أوروبا من عبادة الدنيا وذنوب إشباع الأهواء غير المشروعة التي يخجل المرء من ذكرها أيضا بل قد تقدموا فيها لدرجة تفوق العادة. هل البلاد الأوربية أقلّ من البلاد الآسيوية في السيئات؟ فلماذا إذًا لم يُعَد النظر في هذه الوصفة غير الناجعة؟ من المعلوم أن الطبيب والمريض يلتزمان -لاستعادة صحة مؤقتة في الدنيا- بقانون أنه إن لم تُفِد وصفة معينة إلى أسبوع أو عشرة أيام تُغيَّر الوصفة ويُتأمَّل في اقتراح أحسن منها. فلماذا إذًا لم تُغيَّر هذه

الوصفة إلى الآن مع ثبوت عدم صحتها؟ وبعد مرور ١٩٠٠ عام سدى هل ما زالت تحمل شيئا من الأهمية فكرة أن الإيمان بدم المسيح يــؤدي إلى النجاة الحقيقية؟ أو يمكن أن نتوقع أن يكون المسيحيون أكثر الناس اجتنابا للسيئات والسلوك غير اللائق في المستقبل وإن لم تظهر إلى الزمن الراهن مميزات حاسمة في هذا الموضوع؟ والذي يعيش في بلد من بــلاد أوروبا بإمكانه أن يشهد إن أراد أن البيان المذكور صحيح تماما. بل كل عاقل زار البلاد الأوروبية أو مكث في باريس مثلا مدة وجيــزة، لــن يتردد في الإدلاء بالشهادة أن بعض مناطق أوروبا قد وصلت درجــة لا يكاد أهلها يعُدّون الزنا ذنبا أصلا. إن تعدد الزواج حرام عندهم ولكن النظرة السيئة ليست حراما. ففي فرنسا مئات آلاف النساء اللواتي لسن بحاجة إلى الزوج.

إذًا، فلا بد من القول بأنهم إما اكتشفوا في الإنجيل عبارة جديدة حتى حلّت لهم بسببها هذه التصرفات كلها، أو يجب القول بــأن وصــفة كفارة المسيح أثّرت سلبا وثبت بطلان الادّعاء. ولكن الحق أن هــذه الوصفة لم تكن ناجعة قط، وليس لموت شخص علاقة طبيعية بنجــاة شخص آخر. إن حياة الإله مدار البركات كلها وليس مماته، لأن الضوء يسطع بطلوع الشمس وليس بغروبها. فلما لم يتحقق هدف التطهُّر من الذنوب بواسطة هذه الوصفة، لم يعد صحيحا أيضا المبدأ القائل بأنــه

كان ابن الله الذي قتَل نفسه بتلك النية. لا يسعنا أن نجيز للإله موتًـــا، بحيث مات و لم يتحقق مطلقا الهدف من موته أيضا. أولا وقبـــل كـــل شيء إنه لمما يخالف سنة الله القديمة أنه يمكن للإله أن يتولد من بطـــن امرأة بقبوله لنفسه الموت والفناء وكلَّ نوع من الذلة والإهانة، لأن هذا الادّعاء لم يُثبَت بأي نظير حتى يُفهَم فيطمئن القلب أن الإله قد وُلـــد بضع مرات بهذه الطريقة من قبل أيضا، و لم يُثبَت هذا الادّعاء بواســـطة المعجزات الإلهية التي تفوق حدود معجزات البشر! ومع كل ذلـــك لم يتحقق الهدف الحقيقي الذي من أجله اختُرع هذا الاعتقاد. هناك ذنبان كبيران في الدنيا بسبب إشباع الأهواء النفسانية أحدهما شرب الخمـــر والآخر هو الزنا. قولوا الآن، بالله عليكم، أليس صـــحيحا أن معظـــم الرجال والنساء في أوروبا قد نالوا حظا كاملا من هذين الإثمين؟ بل لا أرى مبالغة في القول بأن أوروبا سباقة على كافة الـــبلاد الآســـيوية في شرب الخمر. وتوجد في معظم المدن الأوروبية في مدينة واحدة محلات لبيع الخمور لا يساويها عدد جميع أنواع المحلات الموجودة في البلـــدات عندنا مجتمعة. وتشهد التجربة أن الخمر أصل الآثام كلها، لأنها تُســـكر الإنسان في بضع دقائق وتشجعه على سفك الدم أيضا. أما بقية أنـــواع الفسق والفجور فهي من نتائجها المحتومة.

الحقُّ والحقَّ أقول وأركّز على أن الخمر والتقوى لا يمكن أن يجتمعا في مكان واحد. والذي ليس مطلعا على عواقبها الوخيمة فهو ليس عاقلا قط. والطامة الكبرى الأخرى فيها هي أن التخلي عن الإدمان عليها ليس بوسع كل شخص.

وإذا طُرح سؤال أنه إذا كان دم المسيح لا يقدر على التطهير من الآثام كما لم يقدر فعلا، فهل هناك علاج للتطهُّر منها أم لا؟ لأن الحياة القذرة أسوأ من الموت في الحقيقة.

فلا أقول في جوابه بكل تحد فقط بل من خلال تجربتي الشخصية والحقائق التي جرّبتها بنفسي بأن هناك وسيلة وحيدة للخلاص من الإثم والمعصية منذ خَلْق الإنسان وإلى هذه الأيام التي هي الأيام الأخيرة، وهي أن يصل الإنسان بواسطة الأدلة اليقينية والآيات الساطعة إلى معرفة تُريه وجه الله تعالى في الحقيقة ويتبين له أن غضب الله نارٌ أكول. ثم يثبت بواسطة تجلّي جمال الله تعالى بأن كل متعة كاملة توجد فيه ﷻ، أي تُرفع كل الحُجُب جلالا وجمالا. هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تتوقف بها الأهواء النفسانية، وبها ينشأ في الإنسان تغيّر طيب طوعا أو كرها. قد يقول الناس على هذا الجواب: ألا نؤمن بالله؟ ألا نخاف الله؟ ألا نحبه؟ ألا تؤمن الدنيا بالله سوى قلة قليلة من الناس، ومع ذلك يرتكبون أنواع الآثام أيضا وتراهم متورطين في أصناف الفسق والفجور؟ فجواب

ذلك أن الإيمان شيء والعرفان شيء آخر. ليس المراد من بياني هـذا أن المؤمن يجتنب الآثام بل معناه أن العارف الكامل هو الذي يجتنبـها، أي ذلك الذي تذوّق طعم خوف الله ﷻ وحبه أيضا.

لعل أحدا يقول هنا بأن الشيطان أيضا حائز على المعرفـة الكاملـة فلماذا يعصي؟ فجوابه بأنه ليست لديه المعرفة الكاملة قط التي يُعطاهـا السعداءُ. ومن طبيعة الإنسان أنه يتأثر حتما بالعلم البالغ درجة الكمال، ولكن عندما يواجهه الهلاكُ بوجهه المهيب فلا يتصدى له. أما حقيقـة الإيمان فليست إلا أن المرء يؤمن على سبيل إحسان الظن، أما حقيقـة العرفان فهي أن يرى أيضا ما آمن به. لذا فإن اجتماع العرفان والعصيان في قلب واحد محال، كاستحالة اجتماع النهار والليل في آن معًا.

تجربون كل يوم أنه إذا ثبت كون شيء ما مفيدا تتولّـد في القلـب رغبة فيه فورا، وإذا ثبت ضرره يخافه فورا كذلك. فمـثلا إن مَـن لا يعرف بأن الذي في يده هو سم الفأر فيمكن أن يتناوله بقدر مثقال أو مثقالين دفعة واحدة معتبرا إياه طباشير أو دواء مفيدا آخر، ولكن الذي يعرف من خلال تجربته أنه سم قاتل فلن يتناوله ولو بأقل من المثقـال لأنه يعرف أنه سيرحل من الدنيا فور تناوله. فعندما يعرف الإنسان على وجه الحقيقة بأن الله تعالى موجود بلا شك وأن الآثـام كلـها قابلـة للعقوبة في نظره بما فيها السرقة وسفك الدماء، والفاحشـة والظلـم

والخيانة، والشرك والكذب وشهادة الزور والاستكبار، والرياء، وأكل الحرام، والغدر، والسباب والخداع، ونقض العهود والغفلة والعيش بأعمال مشينة، وعدم الشكر لله، وعدم خشيته، وعدم مواساة عباده، وعدم ذكر الله بقلب خائف، والانهماك الكلي في لهو الدنيا ولعبها، ونسيان الـمُنعم الحقيقي، وعدم الالتزام بالدعاء والتواضع، والغش في المبيعات، وخسران الموازين، والبيع بسعر أقل من السوق، وعدم خدمة الوالدين، وعدم حسن المعاشرة مع الزوجة، وعدم طاعة الزوج بالكامل، والنظر السيّء إلى غير المحارم من الرجال أو النساء، وعدم الاهتمام بالأيتام والضعفاء والمساكين والمنكوبين، وعدم رعاية حقوق الجيران وإيذاؤهم، وإهانة المرء الآخرين لإبراز نفسه، والاستهزاء بأحد بكلمات نابية تؤذي قلبه أو بيان عيبه الجسدي إهانةً له، أو نَبْزُه بالألقاب أو اتهامه بغير حق، أو الافتراء على الله، أو ادعاء النبوة أو الرسالة بالباطل، أو الادّعاء أنه من الله، والعياذ بالله، أو إنكار وجود الله تعالى، أو التمرد ضد مَلك عادل وعيث الفساد في البلاد شرا وخبثا، فكل هذه الآثام يتركها المرء تلقائيا بعد معرفته أن ارتكاب كل واحد منها يستلزم عقوبة.

ولعل أحدا يسأل مرة أخرى خطأ منه أنه مع أننا نعلم أن الله تعالى موجود ونعرف أيضا أن الآثام يعاقَب عليها، فمع ذلك تصدر الآثام

منا، لذا نحن بحاجة إلى وسيلة أخرى. فأكرر ردًا على ذلك ما قلته من قبل بأنه ليس ممكنا البتة وبحال من الأحوال أن تتشجعوا على الإثم بعد أن تتسنى لكم بصيرة كاملة على أن نار العقوبة سوف تنــزل علــيكم مثل البرق فور ارتكاب الإثم. هذه فلسفة لا تبطل بأي حال.

فكِّروا، وفكِّروا جيدا أنه حيثما يتسنى لكم اليقين الكامل بالعقوبة لا تستطيعون أن تفعلوا شيئا يناقض هذا اليقين. قولوا بالله عليكم، هــل تستطيعون أن تلقوا بأيديكم في النار؟ وهل يمكنكم أن تُلقوا بأنفســكم من قمة جبل؟ هل يسعكم أن تُلقوا بأنفسكم في غيابة جُبٍّ؟ هل لكم أن ترموا بأنفسكم أمام قطار منطلق؟ هل بوسعكم أن تُقحموا يدكم في فم أسدٍ؟ أو تستطيعون أن تقدِّموا قدمكم لكلب مسعور؟ هل بإمكانكم أن تقفوا في مكان تهبط فيه صواعق خطيرة؟ ألا تخرجون مسرعين مــن بيت تريد عارضة سقفه أن تنقضّ، أو تكاد أرضه أن تنشــق بســبب الزلزال؟ من منكم يمكن أن يرى ثعبانا ساما على فراشه ثم لا يقفز منه مسرعا؟ سمُّوا لي شخصا واحدا لا يخرج على جناح السرعة من بيته - الذي ينام فيه عادة- تاركا وراءه كل شيء إذا رأى النار مضطرمة فيه. أخبروني لماذا تفعلون كل ذلك؟ ولماذا تبتعدون عن هذه الأشياء المؤذية كلها، ولا تبتعدون عن الآثام التي ذكرتها قبل قليل؟ ما السبب في ذلك؟ اعلموا أن الرد الذي يمكن أن يتوصّل إليه كل عاقل بعد تدبر رصين هو

أن هناك فرقا بين العلم في الحالتين. أي أن علم الناس بمعظم الذنوب في حق الله ناقص. لا شك أنهم يستنكرون الإثم ولكن لا يعُدّونه كالأسد والثعبان. بل يظنون في قرارة قلوبهم خفية أن هذه العقوبات ليست يقينية، لدرجة أنهم يشكون في وجود الله أيضا؛ إن كان موجودا أم لا؟. وإذا كان موجودا فلا يُعلم إن كان للروح بعد الممات من بقاء أم لا؟ وإذا كان لها بقاء فلا يُعلَم هل على هذه الآثام من عقوبة أم لا؟ مما لا شك فيه أن هذه الشبهة كامنة في قلوب الأغلبية الساحقة منهم وهم ليسوا مطلعين عليها. لكنهم يجتنبون جميع مواضع الخوف التي أوردتُ أمثلة عليها وهم موقنون بأنهم لو اقتربوا منها لهلكوا، فلا يقربونها قط. بل لو صادفتْهم هذه الأشياء الفتاكة لفروا منها صارخين.

فالحقيقة أن الإنسان عندما يرى هذه الأشياء بأم عينه يتسنى له علمٌ حقيقيٌ بأن استخدامها يؤدي إلى هلاك محتوم. ولكن لا يتسنى العلم اليقين في الأوامر الدينية، بل هو ظن محض. إذ يرى تلك الأمور بأم عينه، أما هذه فليست إلا قصصا محضة. والذنوب لا تزول قط بالقصص وحدها. لذا أقول لكم صدقا وحقا بأنه لو صُلب ألف مسيح، دع عنك مسيحا واحدا، لما كان بوسعهم أن يهبوكم نجاة حقيقية قط لأنه لا يخلِّص من الإثم إلا خوف كامل أو حبٌّ كامل. وموت المسيح

على الصليب كذبٌ بحد ذاته أولا وقبل كل شيء، ثم ليست لـــه أدنى علاقة بوضع حد لثورة الآثام.

اعلموا أن هذا الادعاء واقع في حُجُب الظلام، لا تشهد له تجربـــة، ولا علاقة لانتحار المسيح بغفران ذنوب الآخرين. إن فلســـفةَ النجـــاةِ الحقيقيةَ هي أن يتخلّص الإنسان من جحيم الآثام في هذا العالم. ولكن فكّروا هل نجوتم من جحيم الآثام نتيجة هذه القصص؟ هل حظي أحد بالنجاة يوما نتيجة هذه الحكايات السخيفة التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة وليست لها أدنى علاقة بالنجاة الحقيقية؟ ابحثوا في الشرق، وابحثـــوا في الغرب لن تجدوا أناسا توصّلوا بواسطة هـــذه القصـــص إلى الطهـــارة الحقيقية التي تُري الله تعالى عيانا، فلا ينفر الإنسان بسببها مـــن الآثـــام فحسب بل تبدأ متعة الصدق بصورة الجنة، وتسيل روح الإنسان كالماء وتخرّ على عتبات الله، وينـــزل النور من السماء ويزيل ظلمة الـــنفس كلها، كما لو فتحتم نوافذ البيت من كل الجوانب في وضـــح النـــهار ترون قانونا طبيعيا أن ضوء الشمس يدخل بيتكم على الفور. ولكن إذا أبقيتم النوافذ مغلقة فلن يدخل الضوءُ بيتكم بمحض قصة أو حكاية. فلا بد لكم للحصول على الضوء من أن تهبُّوا من مكانكم وتفتحوا النوافذ. عندها سوف يدخل الضوء بيتكم تلقائيا ويضيئه. هل لأحد أن يُـــروي ظمأه بمجرد التفكير بالماء؟ كلا، بل عليه أن يصل إلى نبع الماء باذلا كل

ما في وسعه، ويضع شفتيه على الماء الزلال، عنـــدها ســـيرتوي بالمـــاء العذب.

فالماء الذي سترتوون به وتزول به حرقة الآثام وحرارها هو الـــيقين. لا وسيلة سواه تحت أديم السماء للتزكية من الآثام. ما مـــن صـــليب يستطيع أن يخلّصكم من الإثم، وما من كفارة يمكن أن تمنعكم من اتّباع الأهواء النفسانية إذ لا علاقة لهذه الأشياء بالنجاة الحقيقية قط. افهمـــوا الحقائق وتأملوا في الصدق، ومحِّصوه كما تمحّصون الأشياء الدنيويـــة؛ عندها ستعرفون سريعا أنه ما من نور يخلّصكم من ظلمة النفس ســـوى نور اليقين الحقيقي. ولا يسع شيئا أن يغسل أرجاسكم الباطنية ســـوى الماء النقي للبصيرة الكاملة، ولا يمكن أن تزول حرقتكم ولوعتكم قـــط بغير زلال رؤية الحق. كاذب ذلك الذي يخبركم بخطط أخرى، وجاهل ذلك الذي يريد أن يجرِّب علاجا آخر. فهم لا يهبـــونكم نـــورا بـــل يُسقطونكم في هوة الظلام أكثر فأكثر. ولا يعطونكم ماء عـــذبا بـــل يزيدون الحرقة واللوعة. لن ينفعكم دمٌ إلا الذي يتولد فـــيكم بغـــذاء اليقين. لا يمكن أن ينقذكم صليب إلا صليب الصراط المســـتقيم؛ أي الصبر على الصدق والحق. فافتحوا عيونكم وانظروا، أليس صـــحيحا أنكم ترون بواسطة الضوء فقـــط لا بواســـطة أي شـــيء آخـــر، ولا تستطيعون أن تصلوا إلى الغاية المنشودة إلا بالسلوك علـــى الصـــراط

المستقيم؟ الأشياء الدنيوية قريبة منكم وأمور الدين منكم بعيدة. تأملوا على الأقل فيما هو قريب منكم وافهموا القانون الجاري فيه ثم قيسوا عليه البعيد، لأنه ﷻ هو الوحيد الذي سنّ هذين القانونَين. من منكم يستطيع أن يرى دون العين، أو يقدر على أن يسمع بغير الأذن، أو يتكلم إلا باللسان؟ فلماذا إذًا لا تستفيدون من هذا القانون في الأمور الروحانية؟ هل لكم أن تقفوا في مكان يكاد ينهار وأنتم تمتلكون عيونا؟ أوَلا تتنبّهون إلى صوت يُخبركم بمجيء اللصوص وأنتم تمتلكون آذانا؟ أَوَلا تنتبهون، مع امتلاككم لسانا يميِّز لكم بين المُرّ والحلو، فتأكلون الأشياء المُرّة السامة التي تقطع لسانكم وتفسد معدتكم، وتتسبب في التقيُّؤ والتهاب الجسد وتهلك في نهاية المطاف؟ فافهموا من هذه الأعضاء بأنكم بحاجة من أجل الحياة الروحانية أيضا إلى أن تنالوا نورا يُريكم سوءَ الطرق السيئة، وأن يتناهى إلى آذانكم صوتٌ يُبعدكم عن طرق اللصوص والسارقين، وأن تحظوا بحاسة التذوّق لتميِّزوا بها بين الحلو والمُرّ وبين السم والترياق. فهذه هي الأمور التي يجب عليكم طلبها لتنجوا من الهلاك. ليس ممكنا بحال من الأحوال أن تنالوا النجاة بدم أحد دون الحصول على النور وببقائكم عميانا. النجاة ليست بشيء يُنال بعد هذه الدنيا، بل النجاة الحقيقية والصادقة تتسنى في هذا العالم. إنها نور ينزل على القلوب ويُري ما هي هوّات الهلاك. اسلُكوا

مسلك الحق والحكمة تصلوا به إلى الله تعالى. اخلُقوا الحرقة في قلوبكم لتتمكنوا من التوّجه إلى الحق.

شقيٌ القلب الذي هو فاتر، وتعيسٌ الطبع الذي هو كئيبٌ، وميِّتٌ الضمير الذي لا لمعان فيه. فلا تكونوا أقلّ من دلوٍ يُدلى في البئر فارغا ويخرج منها مليئا. ولا تكونوا كغربال لا يستقر فيه حتى الماء بحيث يدخله من طريق ويخرج من طريق آخر. اسعَوا أن تكونوا سليمين معافِينَ، وتزول عنكم الحرارة السامة لحُمَّى الطمع في الدنيا التي لا يبقى بعدها نورٌ في الأعين ولا سمع في الآذان ولا ذوق طبيعي في اللسان ولا قوة في اليدين والقدمين. اقطَعُوا علاقة لتنشأ علاقة أخرى. امنعوا القلب من جانب ليجد طريقا إلى جانب آخر. ارمُوا دودة الدنيا الدنيئة بعيدا لتُعطَوا جوهرة سماوية لامعة. ارجعُوا إلى مبدئكم، أي المبدأ حين أُحيِي آدم بروح الله لتنالوا الحُكم على الأشياء كلها كما ناله أبوكم.

لقد مضى النهار وحان وقت العصر أي قربت الساعة الرابعة ويكاد الليل يسدل ستاره، والشمس موشكة على الغروب، فانظروا الآن إن كنتم ناظرين، وإلا فماذا ترون بعد ذلك؟ قدّموا قبل الرحيل طعاما لكم من الطيبات لا من الحجر والمدر. قدِّموا لكسوتكم لباسًا لا أشواكًا وعشبًا وكلأً. الإله الذي يخلق الحليب في الأثداء قبل ولادة المولود قد أرسل لكم، في عصركم وفي بلادكم مرسَلا، ليُرضعكم الحليب من

ثدييه كالأم. فهو الذي سيُرضعكم حليب اليقين الذي هو أكثر نصوعا من الشمس وأكثر متعة ورفاهية من كل الأشربة. فإذا كنتم قد وُلدتم أحياء لا أمواتا فتعالوا وأسرِعوا إلى هذا الشدي فسترضعون حليبا طازجا. وارمُوا من أوانيكم ذلك الحليب غير الطازج الذي عفَّنته الرياح الكريهة، وتولّدت فيه ديدان لا ترونها. إنه لا يستطيع أن ينوِّركم بل سيعكِّر صفو طبيعتكم فور دخوله بطنكم لأنه لم يعد الآن حليبا بل صار سمًّا. لا تستحسنوا كل بياض لأن بعض السُّود خير من البِيض، كما أن الشعر الأسود يدل على قوة الشباب، ويدل الشعر الأبيض على الضعف والهزل والهرم. كذلك إن بياض الرياءِ وإظهار الحسنات لا ينفع شيئا. بل المذنب البسيط خير من المرائي لأنه لا يخفي ذنبه بالزيف، فأقول صدقا وحقا بأنه أقرب إلى مغفرة الله. لا تعتمدوا على أشياء ليست يقينية ولا يرافقها نور حقيقي ولا تحالفها فلسفة صادقة، فهي سبل الهلاك كلها. افحصوا رغبات قلوبكم لتعرفوا ما الذي ترغب فيه، وكيف تستطيع أن تبتعد عن السيئة؟

أيّ علاج يشهد به ضميرهم أنه ناجع لهم؟ هل لقلب أن يقبل أن كفارة المسيح تردعه عن ارتكاب الإثم؟ بل تقول التجربة بأنها تشجِّعه أكثر من ذي قبل، لأن المعتمد على كفارة المسيح يعرف أن آثامه قد

كُفِّر عنها. ولكن الذي يُطلَع على سمّ الإثم لن يرتكبه بحال من الأحوال لأنه يرى في ذلك هلاكه.

لقد أُرسل من الله تعالى شخص ينوي أن يوصلكم إلى علم ترى قلوبُكم به الله ﷻ وترى سمّ السيئة أيضا. عندها ستفرون من الإثم تلقائيا فراركم من الأسد. فالمهمة الحقيقيةُ لهذه المجلة هي أن تنشر تعليم الله وآياته في العالم ليطّلع الذين يبحثون عن النجاة في الصليب وكفارة المسيح على ينبوع النجاة الحقيقية. النجاة الحقيقية لا تكمن في مياه فيها جزءٌ واحد من الماء وعشرون جزءا من الوحل والأوساخ. بل الماء الذي يغسل القلوب ينزل من السماء في وقته المناسب. والقناة التي تجري مملوءة بهذا الماء تكون خالية تماما من الوحل والماء الوسخ، فيستخدم الناس ماءها النقي والعذب. أما القناة الجافة التي ليس فيها إلا نزر يسير من الماء الراكد العَفن فلا يمكن أن تتمتع باللطافة والنقاوة بل يخالطها قدر كبير من الوحل، وتتبول فيها دواب كثيرة وتتبرّز. كذلك القلب الذي أُعطي معرفة الله ورُزق يقينا، فمَثله كمثل القناة المملوءة ماءً التي تسقي مزارع كثيرة، وماؤها النقي والبارد يهب القلوب سكينة ويزيل الحرقة من الأكباد. وهذا الماء ليس نقيا وطاهرا في نفسه فقط بل يطهّر أيضا، لأنه يهب الحكمة والفطنة التي تزيل الصدأ من القلوب وتنفّر من

الآثام. أما الذي مَثله كمثل الماء القليل المختلط بالوحل فلا يفيد الخلق شيئا، ولا يستطيع أن يطهِّر نفسه.

ما زال الوقت متاحا، فانهضوا وابحثوا عن ماء اليقين تنالوه، وازخَروا كالبحر بكثرة اليقين. ابتعِدوا عن الذنب متطهرين من رجس كل شك وشبهة. هذا هو الماء الذي سيغسل نقوش الذنب ويطهّر لوح صدركم ويعِدّه لقبول النقوش الربانية. لا تستطيعون محو حروف النفسانية من لوح القلب بأيّ حال ما لم تنظفوه بماء اليقين النقيِّ. اعقدوا العزم لتوفَّقُوا، وابحثوا ليُهيَّأ لكم. ليِّنوا قلوبكم لتفهموا هذه الأمور، فالقلوب القاسية لا يمكن أن تفهم الحقائق. هل تظنون أنكم تستطيعون أن تنفروا من الذنوب نفورا حقيقيا دون أن تترسخ عظمة الله في قلوبكم، ودون أن يتجلّى عليكم جلال الله الحي، وتنكشف لكم قدرته، ويمتلئ القلب بنور اليقين؟ كلا، بل هناك سبيل واحد وإله واحد وقانون واحد.

(نقلا عن مجلة "ريفيو آف ريليجنز" (مقارنة الأديان) الأردية، المجلد الأول، الرقم١؛ الصفحات من ٩ إلى ٣٠، العدد يناير/كانون الثاني ١٩٠٢م)

❁❁❁❁❁

عصمة الأنبياء عليهم السلام

كيف يمكن الفوز بالنجاة
وما فلسفتها الحقيقية؟

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام
المسيح الموعود والإمام المهدي



نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كيف يمكن الفوز بالنجاة وما فلسفتها الحقيقية؟

إن مسألة النجاة والشفاعة مسألة جليلة الشأن وذات بال من بين المسائل الدينية لدرجة تنتهي عندها جميع أهداف الالتزام بالدين، وهي آية جلية وبينة لاختبار صدق دين وحقّانيته، ويُعلَم بناء عليها بكل يقين واطمئنان صِدق أيّ دين وإن كان من عند الله في الحقيقة. وصحيح تماما أن الدين الذي لم يبين هذه المسألة بطريقة سليمة أو لم يُرِ في فِرقته نماذج الحائزين على النجاة بتميُّز بيّن وجليٍّ، فلا حاجة إلى دليل آخر على بطلانه. أما الدين الذي كَشف عن حقيقة النجاة بكمال الصحة، وليس ذلك فحسب، بل قدّم أيضا في عصره أناسا نُفخت فيهم روح النجاة بالكامل، فقد ختم أنه صادق ومن عند الله.

بسبب مئات أنواع الغفلة والحُجُب، وصولات النفس والزلات، والضعف والجهل والظلمات، والعثار في كل خطوة والأخطار المتتالية، والوساوس وآفات الدنيا وبلاياها المختلفة الأصناف والألوان، فإن كل إنسان بطبيعته يشعر في قلبه بأنه بحاجة حتما إلى يد قوية تنقذه من جميع هذه المكروهات؛ لأنه ضعيف بطبيعته، فلا يستطيع أن يثق بنفسه لحظة واحدة بأنه قادر بنفسه على الخروج من ظلمات النفس. هذه شهادة ضمير الإنسان، وإضافة إلى ذلك لو تمعّن المرء في الموضوع لوجد أن العقل السليم أيضا يقتضي شفيعا من أجل النجاة لأن الله تعالى في ذروة التطهُّر والتقدس، والإنسان في الدرك الأسفل من الظلمة والمعصية والكدورة، وبسبب فقدان الصلة والتشابه لا تستحق فئة عامة الناس أن تحظى بالنجاة بنيل الفيض من الله مباشرة. لذا فقد اقتضت حكمة الله ورحمته أن يكون بعض الكمَّل الذين لهم أفضلية خاصة من حيث فطرتهم واسطةً بينه سبحانه وتعالى وبين البشر. وينبغي أن يكون هؤلاء من الذين حازت فطرتهم جزءا من الصفات اللاهوتية وجزءا من الصفات الناسوتية؛ ليقتبسوا نصيبا من فيض الله بسبب علاقتهم باللاهوت وبسبب علاقتهم بالناسوت، يوصلوا إلى الأسفل فيضا نالوه من الأعلى، أي إلى البشر، وذلك بسبب علاقتهم بالناسوت. صحيح تماما القول بأن هؤلاء الناس يمتازون عن غيرهم من البشر بوجه خاص بسبب زيادة

كمال اللاهوت والناسوت فيهم وكأنهم خَلقٌ آخر تماما؛ لأن الحماس الذي يُعطَونه لإظهار جلال الله وعظمته، والقدر الذي تُملأ به قلوبهم بعواطف الإخلاص، والقدر الذي يُعطَون من الحماس لمواساة البشر، إنما هو أمر يفوق العادة لدرجة يتعذر على الآخرين تصوُّره.

من الجدير بالذكر أيضا بأن هؤلاء الناس لا يكونون على مستوى واحد بل يحتل بعضهم مرتبة عليا من حيث الفضائل الفطرية ومنهم من هم دون ذلك وهلمّ جرًّا. والضمير النقي لذي عقل سليم يفهم جيدا أن مسألة الشفاعة ليست مخترَعة أو مختلَقة بل يوجد نظائرها في النظام الذي وضعه الله تعالى منذ القِدم، وتوجد شهادات صريحة عليها في نواميس الله في الطبيعة.

والآن، يجب أن تُفهَم فلسفة الشفاعة على أن "الشفع" يعني الزوج في العربية وهو خلاف الوِتر. ففي كلمة "الشفاعة" إشارة إلى أمر مهم وهو من صفات الشفيع أن يكون حائزا على الاتحاد مع الطرفين؛ بمعنى أن يكون من ناحية على علاقة متينة مع الله ﷻ حتى يصبح له كالشَفْع والربط بسبب كمال الاتحاد، كذلك يجب أن يكون على علاقة متينة مع المخلوق أيضا وكأنه جزء من أعضائهم. فالحق أن تحقُّق تأثير الشفاعة يعتمد على هذين الجزأين. وهذا هو السرّ في أن حكمة الله خَلقت آدمَ على هذا النحو إذ أنشأت في فطرته نوعين من

العلاقة منذ البداية؛ فمن ناحية أنشأت علاقته بالله تعالى كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]، أي فقعوا أيها الملائكة، له ساجدين فورا[2]. يتبين من

---

[1] الحجر: ٣٠

[2] **الحاشية:** في هذه الآية إشارة إلى سر عميق يمثّل علامة الكمال البالغ منتهاه، وهو أن الإنسان في البداية يملك صورة الإنسان فحسب، ولكنه يكون بلا حياة داخليا ولا روحانية فيه من أيّ نوع. ففي هذه الحالة لا يخدمه الملائكة لأنه يكون قشرا دون مغزى. ثم يأتي رويدا رويدا على الإنسان السعيد زمن يتقرّب فيه إلى الله كثيرا. وحين تصبح نفسه مقابل نور الله ذي الجلال تماما ولا يبقى بينهما حجاب ليحجب هذا النور، يدخل الإنسانَ دون أدنى تأخير نورُ الألوهية الذي يمكن بتعبير آخر أن نسميه "روح الله". وتلك هي الحالة الخاصة التي قيل عنها في كلام الله بأن الله نفخ روحه في آدم. وفي هذه المرحلة يؤمر الملائكة –ليس تكلفا ولا كأمر من أوامر الشريعة– أن يسجدوا له، أي يطيعوه طاعة كاملة وكأنهم له ساجدون. هذا الأمر يلازم فطرة الملائكة وليس أمرا مستحدثا. أي أن الملائكة بطبيعتهم يشعرون بأن من واجبهم أن يخرّوا لخدمة الشخص الذي يأتي منصبغا بصبغة الله تعالى، وهذه الأمور ليست قصصا في الحقيقة بل قد جرت سنة الله في القرآن الكريم أن تكون تحت هذه القصص حقيقة علمية. فتلك الحقيقة العلمية هنا هي أن الله تعالى أراد أن يبين في هذه القصة ما هي علامة الإنسان الكامل، فقال: (١) إن علامة الإنسان الكامل هي ألا يكون حظه ناقصا من أيّ جهة من حيث خلق الإنسان، وتكون أعضاؤه الروحانية والجسدية قد نالت حظا كاملا من حيث الخلق البشري وتكون فطرته على اعتدال كامل.

الآية المذكورة آنفا بجلاء أن الله ﷻ نفخ في آدم روحه بعد خلقه فورا وأنشأ علاقة فطرية معه ﷻ. وفعَل ذلك كي تكون للإنسان علاقة فطرية مع الله ﷻ. كذلك كان ضروريا من جانب آخر أن تكون له علاقة فطرية مع الذين يُسمَّون بشرا، لأنه عندما يكون وجودهم مستمدا من آدم، أي عظامهم من عظامه ولحمهم من لحمه، فسينالون حتما نصيبا من هذه الروح التي نُفخت في آدم، لذا سيكون آدم شفيعا لهم بصورة طبيعية، لأن الصدق الذي أُودِع فطرة آدم بسبب نفخ الروح لا بد أن ينال نصيبا منه أيضا الشخصُ الذي خرج منه، كما هو واضح أن ولد كل حيوان يأخذ نصيبا من صفاته وأفعاله. وهذه هي حقيقة الشفاعة أن يأخذ الوارثُ الفطري نصيبا من مورِّثه. لأنه كما بيّنتُ من قبل أن كلمة "الشفاعة" مستمدة من مصدر "الشفع"

---

(٢) العلامة الثانية هي أن تكون الروح الإلهية قد دخلته. (٣) العلامة الثالثة هي أن يسجد له الملائكة. أي يكون جميع الملائكة في السماوات والأرض مسخّرين كخدام له ويعملوا بحسب مشيئته.

الحق أنه عندما يكون الله تعالى مع عبده يرافقه أيضا جيش ملائكته كلهم ويخضعون له؛ فينصرونه في كل موطن وعند مواجهته أيّ موقف صعب، ويكونون على أتم الاستعداد لطاعته في كل حين وآن، وكأنهم يسجدون له دائما لأنه خليفة الله. لكن لا يفقه هذه الأمور ذوو الأفكار الأرضية لأنهم لم يُعطَوا نصيبا من الروح السماوية، منه.

الذي يعني الزوج، فالذي يكون بفطرته زوجا لشخص آخر سيأخذ نصيبا من صفاته حتمًا. فعلى هذا المبدأ تجري سلسلة التوارث الخَلقي؛ أي أنّ ولد الإنسان ينال نصيبا من قوى الإنسان، والـمُهر يقتبس نصيبا من قوى الفرس، وولد الشاة يستمد نصيبا من قواها. وهذه الوراثة تسمّى بتعبير آخر الاستفاضة من الشفاعة، لأن أصل الشفاعة هو "الشفع" أي الزوج. إذًا، فإن مدار الاستفاضة من الشفاعة كله أن تكون بين المستفيض والذي يريد الاستفاضة من شفاعته علاقة فطرية لتنال فطرته أيضا كل ما أُودعت فطرة الشفيع. إن هذه العلاقة كما هي موجودة في فطرة الإنسان كهبةٍ من الله، بمعنى أن كل إنسان جزء من إنسان آخر، كذلك هي في ازدياد مستمر من حيث الكسب أيضا، بمعنى أنه عندما يودّ أحد أن يزداد حبُّه للخلق ومواساته لهم، وهذه موجودة في فطرته سابقا، فيزداد فعلا بقدر دائرة فطرته وعلاقته؛ فبناء على ذلك تموج قوة الحب بحيث يزداد أحد حبا لأحد حتى لا يستقر له قرار دون أن يراه، فتؤثر شدة حبه على قلب الآخر في نهاية المطاف. مَن يحبّ أحدًا إلى أقصى الحدود يطلب له الخير أيضا بوجه كامل وصادق. فهذه الظاهرة ملحوظة ومحسوسة في الأمهات تجاه أولادهن.

إذًا، إن أصل الشفاعة هو الحب حين يكون مصحوبا بالعلاقة الفطرية، لأن كمال الحب الذي هو شرط للشفاعة مستحيل دون العلاقة الفطرية. ولإيداع هذه العلاقة في فطرة الإنسان لم يخلق الله حوّاء منفصلة بل أخرجها من ضِلع آدم، كما قال في القرآن الكريم: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1].. أي خلق زوج آدم أي حوّاء من وجوده لتكون علاقة آدم مع حوّاء وأولادها طبيعية لا مصطنعة. وفعَل ذلك لتدوم العلاقة والمواساة بين بني آدم لأن العلاقات الطبيعية لا تنفك، ولكن العلاقات غير الطبيعية لا تدوم، لأنه لا يوجد فيها جذب متبادل كما في العلاقة الطبيعية.

باختصار، فقد خلق الله تعالى بصورة طبيعية كلتا العلاقتين اللتين كانتا ضروريتين لآدم؛ مع الناس ومع الله.

يتبين من هذا البيان بكل جلاء أن الإنسان الكامل الذي يحق له أن يكون شفيعا هو ذلك الذي يكون حائزا على نصيب كامل من هاتين العلاقتين، ولا يمكن لأحد أن يكون إنسانا كاملا دون حيازة هذين الكمالين. لذا فقد جرت سنّة الله من بعد آدم أن جُعلت هاتان العلاقتان ضروريتين لكل إنسان كامل يمكن أن يكون شفيعا. أولا: نُفخت فيهم الروح السماوية فاتصل الله تعالى بهم وكأنه نزل فيهم.

---

[1] النساء: ٢

ثانيا: إن علاقة الزواج بين البشر التي أُحكمت بالحب والمواساة المتبادلة بين آدم وحواء جُعلت تتجلّى فيهم أكثر من غيرهم، ونتيجة لذلك رغبوا في الزوجات أيضا. وهذه أول علامة على أنهم يتحلَّون بعاطفة مواساة البشر. وإلى ذلك يشير الحديث الشريف الذي جاء فيه: "خيركم خيركم بأهله".. أي أنّ أكثركم مواساة لبني البشر هو مَن يحسن معاملة زوجته أولا. ولكن الذي يعامل زوجته بالظلم والشر لا يمكن أن يعامل الآخرين بالخير، لأن الله تعالى خلق آدم وجعل زوجته أول مصداق لحبه. فالذي لا يحب زوجته أو ليست له زوجة أصلا فهو ساقط عن مرتبة الإنسان الكامل، ويعوزه شرط من شرطَي الشفاعة؛ لذا لا يحق له الشفاعة وإن كان يحظى بالعصمة. ولكن الذي ينكح زوجة يضع لنفسه أساسا لمواساة البشرية، لأن الزوجة تكون سببا لعلاقات كثيرة، إذ تنجب الأولاد فيصبح لهم زوجات، فتكون هناك جدات للأولاد من الأم وأخوال وغيرهم من الأقارب. وبذلك يعتاد مثل هذا الإنسان على المواساة تلقائيا. فتتوسع دائرة عادته هذه وتعطي الجميع نصيبا من مواساته. أما الذين يتربَّون كالرهبان فلا يجدون فرصة لتوسيع دائرة عادتهم هذه فتبقى قلوبهم قاسية ومتصلبة.

الحق أنه لا علاقة حقيقية للعصمة بالشفاعة، لأن مفهـوم العصـمة يقتصر على أن يُعصم الإنسان من الآثام فقط. والمراد من الإثم أن ينقض المرء أمر الله عمدا ويستحق العقاب[١].

فمن الواضح أنه لا تلازم ذاتيا بين العصمة والشفاعة، لأن الأطفال غير المدركين والمجانين بالولادة أيضا أبرياء بحسب الشرح المذكور آنفا لأنهم لا يقدرون على أن يرتكبوا إثما عمدا ولا يستحقون عقابا عند الله

---

[١] **الحاشية:** ما دام معنى الإثم من منطلق العقل والعدل هو أنه يُطلق على فعل حين ينقض به الإنسانُ أمرا من أوامر الله فهو يستحق عقابه، ففي هذه الحالة يكون وجود أمر الله ضروريا قبل صدور الإثم، وأن يكون قد بلغ أيضا مرتكبَ الإثم، ويمكن للعقل أن يحكم على مرتكب الإثم أنه قد استحق العقوبة فعلا نتيجة ارتكابه هذا الفعل.

(أمثلة الاستثناء): زيدٌ يسكن في بلد ناءٍ لم تبلغه شريعة الله. فإذا نقض حُكما أو أكثر من أحكام الشريعة فلن يُعَدّ مجرما لنقضه أوامر الله ﷻ لأنه لم يطّلع على الشريعة. ولكنه إذا بدأ بعبادة الأصنام في حال رجاحة عقله وفهمه وانحرف عن وحدانية الله، فهو مجرم وإن لم تبلغه الشريعة لأن التوحيد الذي جاء به القرآن ليس بالأمر الذي ليس منقوشا في فطرة الإنسان مثل ثالوث المسيحيين، بل هو محفور في فطرة البشر منذ الأزل. لذا فإن إطّلاعه على الشريعة ليس ضروريا لنقضه بل إن وجود العقل الإنساني هو الضروري فقط. وإذا كانت الشريعة موجودة وبلغت أحدا ولكنه غير مدرك أو مجنون وارتكب في هذه الحالة فعلا يُعَدّ عند الشريعة إثما؛ فلن يستحق العقوبة لأنه لم يُعطَ العقل الإنساني. فهو بريء مع وجود الشريعة، منه.

نتيجة ارتكابهم أيّ عمل. فهـــم يســـتحقون دون شـــك أن يُعَـــدّوا معصومين. ولكن هل يحق لهم أيضا أن يكونوا شفعاء للناس ويســـمُّوا منجِّين؟ فيتبين من ذلك بوضوح أنه لا علاقة حقيقية بين عصمة أحـــد وكونه منجِّيا. ولا يعقل قطعا أن يكون هناك علاقة حقيقية بين العصمة والشفاعة. غير أن العقل يُدرك جيدا أنه ضروري للشـــفيع أن يتحلـــى بكلتا العلاقتين المذكورتين من قبل. ويحكم العقل دون أدنى تردد أنه إذا وُجدت فيه إحدى هاتين الصفتين، أي أن تكون له صلة متينة بالله تعالى من ناحية، ومن ناحية أخرى يكون على علاقة قوية مع الخلق مبنية على الحب والمواساة؛ فلا شك أن هذا الشخص سيشفع بحماس قلبي للـــذين لم يقطعوا علاقتهم به قصدا، وستُقبَل شفاعته، لأن الذي أُودعت فطرته هاتين العلاقتين سيكون جاذبا للفيض حتما بسبب حبه التام لله تعـــالى ثم يوصل الفيض نفسه إلى الخلق نتيجة حبه التام لهم أيضا. وهذه هـــي الكيفية التي تُسمَّى الشفاعة بتعبير آخر. ومن المحتوم للشفيع كما قلـــت قبل قليل، بأن يكون على علاقة متينة بالله تعالى وكأن الله قد حـــلّ في قلبه، وتكون بشريته قد ماتت كليا وظهر التجلّي اللاهوتي في كل ذرة من كيانه، وسالت روحه على عتبات الله بعد الذوبان كالماء، وبـــذلك قد بلغت منتهى قرب الله تعالى.

كذلك من الضروري أيضا للشفيع أن يكون قلبه خفاقا بشدة مواساةً لمن يشفع له وكأنه على وشك أن يُغشى عليه، وكأن أعضاءه على وشك الانفصال عن جسده من شدة القلق والاضطراب، وكأن حواسه متشتتة. وتكون مواساته قد أبلغته درجةً تفوق مكانة الأب والأم، وتفوق كل مواسٍ وناصح أمين. فعندما تتولد فيه هاتان الحالتان، يصبح زوجا من حيث مقام اللاهوت، وزوجا من ناحية أخرى من حيث مقام الناسوت أيضا. عندها تكون كلتا كفّتَي الميزان متساويتين. أي يكون مظهرا كاملا للاهوت ومظهرا كاملا للناسوت أيضا، وسيكون في كلتا الحالتين بصورة البرزخ. مثل ....

اللاهوت
نقطة البرزخ أي مقام الشفاعة
الناسوت

فقد قال الله تعالى في القرآن الكريم أنّ النبي ﷺ شفيع مشيرا إلى هذا المقام للشفاعة: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[1] أي صعد هذا الرسول إلى الله واقترب منه قدر الإمكان واجتاز كمالات القرب كلها، ونال حظا كاملا من مقام اللاهوت، ثم رجع إلى الناسوت رجوعا كاملا، أي أوصل نفسه إلى منتهى العبودية، ونال حظا كاملا من مستلزمات البشرية الطاهرة، مثل مواساة البشر وحبهم الذي يُسمّى كمال الناسوت. وبذلك بلغ درجة الكمال في حب الله، وكذلك بلغ الكمال في حب البشر. فما دام قد

---

[1] النجم: ٩، ١٠

دنا إلى الله بوجه كامل، ثم تدلّى بوجه كامل إلى البشر؛ لذا صار - بسبب تساوي القرب من الجهتين- كوتَر بين قوسين، فوُجد فيه الشرط الواجبُ وجودُه في الشفاعة. وشهد الله تعالى في كلامه المجيد أنه ﷺ صار بين نوعه وبين ربه كالوتَر بين القوسين.

ويقول الله تعالى في آية أخرى عن مقام قربه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، أي أخبر الناس بأن وجودي قد فني تماما وصارت جلّ عباداتي لله تعالى. وهذه إشارة إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يعبد الله خالصا ما لم يكن كاملا بحيث تكون بعض عبادته لله وبعضها لنفسه؛ لأنه حينذاك يريد العظمة والتبجيل لنفسه كما يجب تعظيم الله وتبجيله. هذه هي حقيقة العبادة. وكذلك يكون جزء من عبادته للمخلوق أيضا؛ لأن العظمة والكبرياء والقدرة والسطوة التي يجب تخصيصها لله تعالى يعطي جزءا من تلك العظمة والقدرة للخلق أيضا. فكما يعبد الله، كذلك يعبد النفس والمخلوق، بل يخصص جزءا من عبادته لجميع الأسباب السفلية أيضا بوجه عام، لأنه يعُدّ تلك الأسباب شريكة في نظام الإفناء والإبقاء بإزاء مشيئة الله وقدره. فمثل هذا الإنسان الذي يُشرك نفسه تارة في عظمة الله ويشرك المخلوقات والأسباب تارة أخرى، لا يمكن أن يكون عابدا صادقا لله

---

[1] الأنعام: ١٦٣

ﷻ. بل العابد الصادق هو ذلك الذي يَرُدُّ كافة أنواع العظمة والكبرياء والقدرة إلى الله تعالى دون غيره. وعندما تبلغ عبادة أحد هذا المبلغ من التوحيد يُعَدّ عابدا حقيقيا لله. وهذا الإنسان كما يقول بلسانه أن الله واحد لا شريك له كذلك يشهد على وحدانية الله بفعله، أي بعبادته أيضا. فإلى هذه المرتبة الكاملة أشير في الآية المذكورة آنفا حيث أُمر النبي ﷺ أن يعلن للناس أن عباداتي كلها لله، أي ليس للنفس والمخلوق والأسباب نصيب منها.

ثم قال بعد ذلك بأن نسكي لله وحده، وكذلك حياتي ومماتي أيضا لله رب العالمين.

اعلموا أن النسيكة تعني في العربية الذبيحة، وجمعها نُسُك كما ورد في الآية. ومعناها الآخر: العبادةُ. فقد استُخدمت هنا كلمة تعني العبادة والذبيحة أيضا. وهذه إشارة إلى أن العبادة الكاملة التي لا تشاركها النفس ولا المخلوق ولا الأسباب هي نسيكة في الحقيقة. والنسيكة الكاملة هي العبادة الكاملة في الحقيقة. وأما قوله بعد ذلك إن حياتي ومماتي لله رب العالمين؛ فهذه العبارة التي جاءت في الأخير هي شرحٌ للنسيكة لئلا يتوهم أحد أن المراد من النسيكة هو ذبح الماعز أو البقرة أو الإبل، وليُفهم بوضوح من العبارة: ﴿مَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أن المراد من النسيكة أو القربان هنا هو التضحية بالروح. إن

كلمة "قربان" مستمدة من القرب. وفي ذلك إشارة إلى أن قرب الله لا يُنال إلا حين يطرأ الموتُ على القوى والأعمال النفسانية كلها.

باختصار، إن هذه الآية لبرهانٌ عظيم على قرب النبي ﷺ التام، وإعلان بأن النبي ﷺ كان فانيا في الله إلى درجة صارت جميع أنفاس حياته وموتُه لله وحده، ولم يعد في وجوده أيّ نصيب للنفس والمخلوق والأسباب. وخرَّت روحه على عتبات الله بإخلاص بحيث لم تبق فيها شائبة من غير الله. فبذلك أكمل ﷺ على أتم وجه جانبا من الشرط الذي لا بد منه للشفيع. والجملة الأخيرة في الآية المذكورة آنفا هي: ﴿مَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفيها إشارة إلى أن تضحيته ﷺ إنما هي لمصلحة العالم كله. والجانب الآخر لشرط الشفاعة هو مواساة الخلق. ولقد كتبتُ قبل قليل أن الكلمة الثانية من الآية: ﴿دَنَى فَتَدَلَّى﴾ أيْ: "تدلّى"؛ تدُلُّ على المواساة نفسها.

ليكن معلوما أن مصدر "تدلّى" هو "دلو"، ومعناه إرسال الدلو في البئر ليمتلئ ماءً. ومعناه الثاني هو اتخاذ المرء أحدا شفيعا له. فمعنى "التدلّي" هو التوجّه – من أجل الشفاعة– إلى الناس البعيدين بكمال المواساة والنصح، والاقترابُ منهم كثيرا، وإبعاد الماء الكدر عنهم وإعطاؤهم الماء النقي الطاهر.

ولما كان حب الله والوصول في حبه إلى أعلى مقام القرب أمــرا لا يطّلع عليه سوى صاحبه، فقد كشف الله تعالى عن أعمال النبي ﷺ التي تُثبت أنه آثر الله ﷻ على كل شيء في الحقيقة، وقد أُشربت كــل ذرة من كيانه حبَّ الله وعظمته، فكان وجوده مرآة لمشاهدة تجليــات الله كاملةً. وبقدر ما يستطيع العقل أن يتصور من علامات حب الله الكامل فهي موجودة كلها في شخص النبي ﷺ.

من الواضح أن الذي يحب أحدا فإنما يحبه إما بسبب إحسانه إليه أو بسبب حسنه، لأن تجربة جميع بني آدم المتفق عليها منذ خلق الإنســان تقول بأن الإحسان يدفع إلى الحب. ومع أن هناك تفاوتا كــبيرا بــين طبائع البشر إلا أنه توجد في كافة أفراد البشرية خاصية التأثرِ بالإحسان بقدر موهبتهم وإنشاءِ حبِّ المحسن في قلــوبهم، لدرجــة أنــه يتــأثر بالإحسان حتى الخسة من الناس وقساة القلوب جــدا واللئــام مثــل اللصوص والنهاب وغيرهم من المجرمين الذين يكسبون معاشهم بجــرائم مختلفة أيضا. فمثلا إذا أتيحت للّص الذي شُغله النهب والسرقة الفرصة ليلا لِنَقب بيتين وكان أحدهما بيت شخص أحسن إليــه فيمــا ســبق والآخر غريب عنه، فلن يستحسن طبُعه مع كونــه قــذرا إلى أقصــى الدرجات أن يترك بيت الغريب عمدا وينقب بيت صديقه. بل هــذه الصفة توجد في الحيوانات والضواري أيضا، فضلا عن الإنسان، فهي لا

تهاجم المحسن إليها. لقد جرّب كثير من الناس طبيعة الكلب وسيرته بهذا الصدد وكيفية طاعته للمحسن إليه. فلا شك أن الإحسان يدفع إلى الحب. كذلك الحسن أيضا يدفع إلى الحب كما هو معلوم لأن في مشاهدة الحُسن متعةٌ. والإنسان بطبعه يميل إلى أشياء يستمتع بها. وليس المراد من الحسن هو ملامح الجسد فقط بمعنى أن تكون العين كذا والأنف كذا، وأن يكون الجبين كذا واللون كذا، بل المراد منه هو المحاسن الذاتية والكمال الذاتي واللطافة الذاتية التي تنطوي على الجذب بسبب الكمال والاعتدال وانقطاع النظير. إذًا، جميع المزايا التي تمدحها فطرة الإنسان تُعَدّ حُسنا وينجذب إليها قلب الإنسان تلقائيا. فمثلا إذا كان هناك مصارع قوي، فريد عصره لدرجة لا يضاهيه أحد في المصارعة، وليس ذلك فحسب بل يمسك بيده الأسُودَ ويستطيع أن يهزم في ميدان الوغى ألف شخص بشجاعته وقوته، ويقدر على أن يخلِّص نفسه إن حاصره آلاف الأعداء، فإن هذا الشخص سوف يجذب القلوب تلقائيا، وسيحبه الناس حتما، وإن لم يستفيدوا من قوته وشجاعته عديمة النظير شيئا، وسواء أكان يسكن في بلد بعيد ما زاره أحدهم، أم كان في زمن خلا، فمع ذلك يسمعون قصصه بالإعجاب، ويحبونه بسبب مزاياه المذكورة آنفا. فما السبب وراء هذا الحب؟ هل أحسن هذا الشخص إلى أحد منهم؟ معلومٌ أنه لم يحسن إلى أحد. إذًا

ليس لهذا الحب سبب إلا الحسن. فلا شك أن المحاسن الروحانية كلها تدخل في الحسن وتسمَّى حُسن الخُلق وحُسن الصفات وتُقابِل حسن الخَلق. والفرق بين الإحسان وحسن الأخلاق وحسن الصفات هو أن خُلقا حسنا عند أحد وصفته الحسنة ستُسمَى إحسانا في حالة واحدة فقط؛ إذا استمتع واستفاد أحد من ذلك الخُلق الحسن أو الصفة الحسنة. فالذي يستفيد من ذلك الخُلق الحسن والصفة الحسنة يكون ذلك الخلق الحسن والصفة الحسنة إحسانا بالنسبة إليه وسيذكرها مدحا وشكرا. أما بالنسبة إلى الآخرين فيكون خُلقه الحَسن حُسْنا. فمثلا تكون صفة الجود والسخاء إحسانا بحق الذي استفاد منها ولكنها ستُعَدّ من الصفات الحسنة في نظر الآخرين.

باختصار، إن قانون الله في الطبيعة، كذلك سُنّة الله التي لا تزال جارية منذ القِدم بل منذ خلق الإنسان تعلِّمنا أنه من المحتوم لخلق صلة متينة بالله تعالى أن يستمتع المرء بحسنه وإحسانه. ولقد كتبت قبل قليل أن المراد من الإحسان هو نماذج الأخلاق الإلهية التي شاهدها الإنسان بحقّه بأم عينه، أي إذا تولّى الله تعالى أحدا عند الفقر وعدم الحيلة والضعف واليُتم، وقضى بنفسه حوائجه وتكفّله عند حاجاته، ونصَرَه سبحانه وتعالى في أحزان قاسية وقاصمةٍ للظهور، وهداه عز وجل بنفسه دون مرشد أو هاد عند بحثه عن الله، فذلك إحسان. وكذلك المراد من الحسن صفاتُ

الله الحسنة نفسها التي تلاحَظ بصورة الإحسان أيضا، فمثلا إن قدرة الله الكاملة ورِفقه ولطفه وربوبيته ورحمته التي توجد فيه، وكذلك ربوبيته الملحوظة بوجه عام، والنعم الأخرى كلها الموجودة بكثرة لإراحة الناس، وكذلك علمه الذي يناله المرء بواسطة أنبيائه وينجو بسببه من الهلاك والدمار، وصفته ﷻ أنه يجيب أدعية المضطرين والمنكوبين. والذين يتوبون إلى الله يتوب الله إليهم أكثر منهم، كل هذه الصفات الإلهية تدخل في قائمة حُسنه. فعندما يستفيد أحد من هذه الصفات نفسها بوجه خاص، تصبح إحسانا بالنسبة إليه. والذي يرى صفاته هذه التي هي حسنه وجماله في الحقيقة في صبغة الإحسان أيضا يتقوّى إيمانه كثيرا وينجذب إلى الله كما ينجذب الحديد إلى المغناطيس، ويزداد حبا لله ويتقوى توكّله عليه ﷻ كثيرا. ولأنه يكون قد جرّب بنفسه بأن خيره ومصلحته كلها منوطة بالله فتتقوى آماله به ﷻ كثيرا وينيب إليه بطبيعته لا تكلفا ولا تصنعا، ويرى نفسه محتاجا إلى نوال نصرة الله دائما، ويستيقن نظرا إلى صفاته الكاملة هذه بأنه سينجح حتما، لأنه يكون قد شاهد بأم عينه كثيرا من مشاهد فيض الله وجُوده وكرمه ﷻ فتتدفق أدعيته من عين القوة واليقين. وتكون عزيمته قوية ومُحكمة جدا. وفي نهاية المطاف تداهمه أنوار اليقين نتيجة مشاهدته آلاء الله ونَعمائه فتحترق ذاته كليّا. وبسبب تصوره عظمة الله وقدرته بكثرة

يصبح قلبه بيتا لله. وكما لا تنفصل روح الإنسان في حياته عن جسده كذلك لا يحيد هو عن اليقين الذي أُعطيه من الله القادر ذي الجلال بل تجيش بداخله روح طاهرة كل حين وآن، وينطق بتعليم تلك الروح الطاهرة، وتصدر منه الحقائق والمعارف، وتبقى عظمة الله ذي العزة والجبروت مخيِّمة في ساحة قلبه، وتجري لذة اليقين والصدق والحب بداخله دائما كالماء الجاري، ويبدو أن كل عضو من أعضائه قد ارتوى بِريِّه؛ فيُرى الارتواء من نوع خاص في عينيه، ويشاهَد في جبينه نور متجدد مترنحا نتيجة تلك السُقيا، ويلاحَظ مطر حب الله نازلا على وجهه، وينال لسانه أيضا نصيبا كاملا من ريّ ذلك النور، فتبدو النضرة بادية على الأعضاء كلها كما تلاحَظ بعد إمطار سحابة الربيع النضرةُ والخضرةُ الجذابة على أغصان الأشجار وأوراقها وأزهارها وثمارها في فصل الربيع. ولكن الذي لم تنـزل عليه هذه الروح و لم يحظَ بهذا الريّ يكون جسمه كله كميت. وهذا الريّ والنضرة والطراوة التي يعجز القلم عن شرحها لا يمكن أن يحظى بها قط قلبٌ ميتٌ لم يروِهِ نبعُ نورِ اليقين، بل تفوح منه رائحة كريهة ونتنة. أما الذي أُعطِي هذا النور، والذي تدفق منه هذا النبع، فمن علاماته أن يتمنى قلبه دائما وفي كل حين أن ينال القوة من الله في كل شيء وفي كل قول وفعل. ففي ذلك

تكمن متعته وراحته، فلا يستطيع أن يعيش بدونه أبدا. والكلمات التي حُدِّدت في كلام الله تعالى لنيل القوة معروفة بالاستغفار.

المعنى الأصلي والحقيقي للاستغفار هو التماس المرء من الله ألا يَظهر ضعفه البشري للعيان، وأن يُسند اللهُ فطرتَه بقوته ويُحيطها بدائرة حمايته ونصرته. هذه الكلمة مستقاة من مصدر "غفر" وتعني الستر. فمعناها أن يغفر الله تعالى بقدرته الضعف الفطري للمستغفِر. ولكن قد وُسِّع معنى هذا اللفظ أكثر بعد ذلك لعامة الناس، وأُريدَ منه أيضا أن يستر الله تعالى الإثم الذي صدر من قبل. ولكن المعنى الحقيقي والصحيح هو أن ينقذ الله تعالى بقوة ألوهيته المستغفِرَ من الضعف الفطري، ويقوِّيه بقوته ويهبه علمًا من علمه ونورا من نوره، لأن الله تعالى لم يتخلّ عن الإنسان بعد خلقه، بل كما هو خالق الإنسان وخالق كافة قواه الداخلية والخارجية كذلك هو قيّوم الإنسان أيضا، أي يقيم بسنده الخاص جُلَّ ما خلقه. فلما كان اسم الله "القيوم" أيضا؛ أي قيّوم المخلوقات بسنده الخاص؛ وما دام الإنسان قد وُلد نتيجة خالقيّة الله، فيجب عليه أن يحمي ملامح خلقه من الفساد بواسطة قيوميته سبحانه وتعالى، لأن خالقية الله قد أحسنت إلى الإنسان إذ خلقته على صورته عز وجل. كذلك اقتضت قيومية الله أن تنقذ من الفساد والتوسُّخ تلك الملامح الإنسانية الطاهرة التي خُلقت بيدَيه سبحانه وتعالى. لذا فقد عُلِّم الإنسان أن يلتمس القوة

من قيوميته ﷻ بالاستغفار. فكان وجود الاستغفار ضـــروريا -وإن لم يوجد ذنب في العالم- لأن الهدف من الاستغفار هو ألا تنهـــدم بنايـــة البشرية التي شيدها الخالقية بل لتبقى قائمة. ولأن قيام شيء دون ســـند الله مستحيل تماما، فكانت هذه ضرورة طبيعية للإنســـان فوُجِّـــه إلى الاستغفار. هذا ما أشير إليه في القرآن الكريم: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1]... أي أن وجود الإنسان بحاجة إلى خالق وإلى قيوم أيضا لكي يخلقه الخالقُ ويحميه القيومُ من الفساد. فإن ذلك الإله خالق وقيوم أيضا. وعندما وُلد الإنسان انتهت مهمة الخالقية، ولكن مهمة القيومية مستمرة إلى الأبد، لذلك كانت هناك حاجة إلى الاستغفار باستمرار.

باختصار، هناك فيض لكل صفة من صفات الله، ففي سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى الاستمرار في الاستغفار للحصول على فيض القيومية. أي نعبدك يا رب ونستعين بك لتعيننـــا قيوميتـــك وربوبيتك وتنقذنا من العثار حتى لا يظهر منا ضعفٌ فنحرم من العبادة.

فالواضح من كل هذا التفصيل أنه ليس معنى الاستغفار أن هناك حقا فات، بل منشؤه أمنية ألا يفوت حق. وأن فطرة الإنسان تطلب من الله قوة تلقائيا نظرا إلى ضعفها كما يطلب الطفل من أمه الحليب. فكمـــا أعطى الله ﷻ الإنسان اللسان والعينين والقلب والأذنين وغيرها منـــذ

---

[1] البقرة: ٢٥٦

البداية كذلك وهبه الرغبة في الاستغفار أيضا منذ البداية، وأشعَرَه بأنه بحاجة إلى الاستعانة بالله دائما. هذا ما أشير إليه في الآية الكريمة: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1]، أي اُدعُ الله أن يحمي فطرتك من الضعف البشري، بل يهب الفطرة من عنده قوة حتى لا يظهر منها ضعفٌ. كذلك ادعُ كشفاعة للذين آمنوا بك من الرجال والنساء أن يأمنوا مغبة الأخطاء التي تصدر منهم نتيجة الضعف الطبيعي وأن تكون حياتهم المستقبلية أيضا مصونة من الذنوب. هذه الآية تشتمل على فلسفة عظيمة للعصمة والشفاعة وتشير إلى أن الإنسان لا يبلغ أعلى مقام العصمة ومرتبة الشفاعة إلا إذا استمر في الدعاء في كل حين وآن لوضعِ حدٍ لنقاط ضعفه والدعاء لإنقاذ الآخرين من سمّ الخطايا، وإذا جذب قوة الله بالتضرعات ثم تمنى أن ينال نصيبا من هذه القوة الآخرون الذين يرتبطون به برباط الإيمان. الإنسان المعصوم بحاجة إلى طلب القوة من الله لأنه ليس في فطرة الإنسان مزيّة ذاتية، بل تنالها من الله دائما، ولا تملك قوة في نفسها بل تنالها من الله كل حين وآن، وليس في ذاتها نور كامل بل ينزل عليها النور من الله. والسر في ذلك أن الفطرة الكاملة تُعطَى جذبًا لتجذب القوة العليا إلى نفسها. ولكن مصدر القوة كلها هو الله وحده، والملائكة أيضا يستمدون القوة

---

[1] محمد: ٢٠

لأنفسهم من هذا المصدر، وكذلك الإنسان الكامل أيضا يستمد قوة العصمة والفضل من مصدر القوة نفسه بواسطة قناة العبودية. فالمعصوم الكامل من بين الناس هو ذلك الذي يجذب القوة الإلهية بالاستغفار. وسلسلة التضرع والخشوع تبقى جارية دائما من أجل هذا الجذب لينزل عليه النور باستمرار. ويمكن تشبيه هذا القلب بالبيت الذي أبوابه تُقابل الشمس من الشرق والغرب بل من كل جهة، فيدخله ضوء الشمس دائما. والذي لا يسأل الله القوة مَثَله كمَثل حجرة أبوابها مغلقة من كل الجهات فلا يدخلها الضوء قط.

فما هو الاستغفار؟ إن مَثله كمثل آلة تنزل القوة بواسطتها. إن أسرار التوحيد كلها مرتبطة بأصل ألا تُحسَب العصمةُ حكرًا على إنسان، بل يجب أن يُعَدَّ اللهُ وحده مصدر الحصول عليها. إن البارئ تعالى يشبه -من باب الاستعارة- قلبا يكون فيه الدم النقي دائما. ومَثل استغفار الإنسان الكامل كمثل الشرايين والعروق المرتبطة بالقلب التي تجذب منه الدم النقي وتوزّعه على كافة الأعضاء التي تحتاج إليه.

الفرق بين الذنب والجريمة

من الخطأ تماما القولُ بأن كلمة "ذنب" المذكورة في الآية: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ تعني الإثم، لأن هناك فرقا بين الذنب والجريمة. الجريمة تُطلَق

دائما على الإثم الذي يستحق العقوبة. أما "الذنب" فتُطلَق على الضعف البشري أيضا. لذلك نُسب إلى الأنبياء "الـذنب"، بسبب ضعفهم البشري و لم تُنسب إليهم "الجريمة". و لم يُدعَ أيّ نبي في كتاب الله باسم "المجرم". وقد جاء في كتاب الله أي القرآن الكـريم وعيـد بـالجحيم للمجرم، إذ عهد الله أنه سيُلقى في جهنم، و لم يأت أيّ وعيد للمذنب. كما يقول الله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا﴾[1]، فهنا قال الله: ﴿مُجْرِمًا﴾ و لم يقل: "مذنبا" لأن المـذنب يمكن أن يُطلق على البريء أيضا في بعض الحالات، ولكن لا يمكـن أن يطلَق عليه "المجرم". وهناك دليل آخر أيضا على ذلك، وهو أنه قد جاء في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَـالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾[2]. يتبين من هذه الآيـة بنص صريح أن جميع الأنبياء بمن فيهم المسيح عليه السلام كـانوا مـأمورين بالإيمان بالنبي ﷺ وأقروا بأنهم آمنوا به. وإذا قرأنا الآيـة: ﴿وَاسْـتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ مع الآية المذكورة من قبل واستنبطنا من "الذنب" معنى الجريمة، والعياذ بالله، لكان عيسى عليه السلام أيضـا مجرمـا

---

[1] طه: ٧٥

[2] آل عمران: ٨٢

بحسب هذه الآية لأنه أيضا من المؤمنين الذين آمنوا بالنبي ﷺ بحسب الآية، لذا سيُعدّ مجرمًا لا محالة. على المسيحيين أن يفكروا في هذا المقام جيدا. تبين من هذه الآيات بجلاء تام أن "الذنب" هنا لم يأتِ بمعنى الجريمة، بل المراد منه هو الضعف البشري الذي لا يقع عليه اعتراض. ولا بد أن يكون هذا الضعف موجودا في فطرة المخلوقات. وقد سمِّي الضعف ذنبا لأن هذا النقص والضعف موجود في الإنسان بطبيعته حتى يكون محتاجا إلى الله دائما ويسأل الله القوة دائما للتغلب عليه. ولا شك أنه إن لم تسعف الإنسانَ قوةُ الله فلن يُسفر ضعفه البشري إلا عن الذنب. فالموصل إلى الذنب قد سُمِّي ذنبا على سبيل الاستعارة. ومن الشائع والمتداول أن الأعراض التي تسبب بعض الأمراض تُطلق عليها اسم تلك الأمراض نفسها. فالضعف الطبيعي أيضا مرضٌ وعلاجه الاستغفار.

فباختصار، لقد استخدم كتاب الله الضعفَ البشري في محل "الذنب"، وشهد بنفسه أن الضعف الفطري موجود في الإنسان، حيث يقول: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[1]، وهذا الضعف هو الذي يكون سببا للخطايا المختلفة إن لم تحالفه القوة الإلهية. إذًا، إن حقيقة الاستغفار هي أن على الإنسان أن يستعين بالله تعالى في كل حين وآن، ويسأله ألا

---

[1] النساء: ٢٩

يظهر للعيان ضعفه البشري الذي هو ذنب البشرية ويحالفه دائما. فالدوام على الاستغفار دليل على التغلّب على الذنب، حيث لم يظهر للعيان، بل نزل عليه نورٌ من الله وغطّاه.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن كلمة "استغفار" مستمدة من المصدر "غفر"، ومعناها الحقيقي هو: التغطية والستر. أي الرجاء ألا يضر ضعف بشري بظهوره للعيان بل ليبقَ مستورا. ولأن الإنسان ليس إلها وليس مستغنيا عنه ﷻ، لذا فهو كطفل صغير يحتاج إلى أمه عند كل خطوة لتنقذه من العثار والسقوط، كذلك الإنسان يحتاج إلى الله في كل خطوة ليجنّبه العثار والزّلّة. فهذه هي فائدة الاستغفار.

وفي بعض الأحيان تُطلق هذه الكلمة على سبيل التوسّع على الذين ارتكبوا إثما في زمن مضى. ففي هذه الحالة يكون معنى الاستغفار أن ينقذ الله من عقوبة إثم صدر من قبل. ولكن هذا المعنى الثاني لا ينطبق على المقربين إلى الله ولا يصح بحقهم. والسبب في ذلك أن الله تعالى يكون قد كشف لهم سلفا أنهم لن ينالوا أية عقوبة قط وسيحتلون مقامات عليا في الجنة، ويُجلَسون في حضن رحمة الله. ولا يُعطَون هذه الوعود مرة واحدة بل مئات المرات، ويُرَون الجنة. ولو استغفروا من منطلق هذا المعنى لئلا يدخلوا جهنم بسبب ذنوبهم فهذا ذنب لهم بحد ذاته، لأنهم لم يوقنوا بوعود الله، وعدّوا أنفسهم بعيدين عن رحمة الله.

فالذي يقول الله عنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]، لو ارتاب في نفسه هل تحالفه رحمة الله أم لا، فكيف يكون رحمة للآخرين؟

كل هذه القرائن تكشف الحقيقة بكل جلاء للذين يفكرون بالعدل والإنصاف أن عزو المعنى الثاني للاستغفار إلى النبي ﷺ خطأ كبير وخبث بحت. بل العلامة الأولى للمعصوم هي أنه يستغفر أكثر من غيره ويسأل اللهَ القوة دائما لاجتناب مغبة الضعف البشري. وهذا ما يسمّى "الاستغفار" بتعبير آخر، لأنه إذا كان الطفل يمشي دائما مستندا إلى أمه ولا يتحمل الانفصال عنها لحظة واحدة فسيجتنب العثار دون شك، ولكن الطفل الذي يمشي منفصلا عن أمه ويتسلق سلّما خَطِرا تارة وينزل أدراجا خطيرة تارة أخرى فلسوف يسقط يوما لا محالة وسيكون سقوطه خَطِرا. فكما يُستَحبُّ للطفل السعيد ألا ينفصل عن أمه الحبيبة مطلقا ولا يبتعد عن حضنها ولا يترك ذيلها، كذلك هي سيرة هؤلاء المقدسين الأطهار إذ أنهم يخرّون على عتبات الله كمَثل أطفال في أحضان أمهاتهم. وكما أن الطفل ينجز كل أموره بقوة أمه، وكلما عانده طفل آخر أو واجهه كلبٌ أو تعرّض لأي خوف أو وجد نفسه في مقام الزلة، دعا أمه فورا لتسعى إليه بسرعة لتنقذه من تلك الآفة، كذلك الحال تماما عند هؤلاء الأطفال الروحانيين إذ أنهم يعُدّون

[1] الأنبياء: ١٠٨

رهم كالأم تماما ويعدّون قواه كنــزا لهم ويتحرّون قوته ﷻ في كـــل حين وآن. وكما أن الطفل الرضيع يضع فمه على ثدي أمه عند الجوع ويجذب الحليب بجذب طبيعي، وحين تشعر الأم أن شفتَي طفلها الرضيع الناعمتين قد لمستا ثديها بالضراعة يتدفق حليبها بصورة طبيعية ويدخل فم الرضيع؛ فهذا القانون نفسه جار للأطفال الذين يبحثون ويتحـــرون الحليب الروحاني.

ضرورة الشفاعة

يمكن أن يطرح أحد هنا سؤالا: ما حاجة الإنســان إلى الشــفاعة؟ ولماذا لا يجوز له أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره ويسأله العفو مباشرة؟ إن قانون الطبيعة بنفسه يرد على هذا السؤال، لأنه من المسلَّم به عنـــد الجميع ولا يسع أحدا الإنكار أن سلسلة نسل الناس بل الحيوانات أيضا تجري نتيجة الشفاعة. لقد كتبت قبل قليل أن "الشفاعة" مستمدة مـــن "شفع" وتعني الزوجُ. فأيّ شك في أن بركات التناسل كلها قد نتجت ولا تزال تنتج عن الشفع. إن أخلاق الإنسان وقوته وملامحه تنتقل منه إلى غيره بهذه الطريقة، أي هي نتيجة الشفع. كذلك الحيوان الذي يتولد من حيوان آخر مثل الشاة أو الثور أو الحمار وغيرها، والقوى كلها التي تنتقل من حيوان إلى آخر هي أيضا نتيجة الشفع في الحقيقـــة. فحـــين

يؤخذ هذا الشفع بمعنى أن يُنشئ ناقصٌ علاقةً روحانية مع كاملٍ ويتلقى من روحه علاج ضعفه ويجتنب الأهواء النفسانية، فتسمى هذه العلاقة شفاعةً. كما أن القمر عندما يقابل الشمس وينشئ معها نوعا من الاتحاد والعلاقة ينال فورا الضوء الموجود في الشمس. ولأن لهذا الشفع الروحاني بين القلوب المحبة وبين الأنبياء علاقةً مع الشفع الجسدي كعلاقة بين زيد وأبيه مثلا، لذا فالحائزون على الفيض الروحاني أيضا يُعَدّون أولادا عند الله. والحائزون على الخَلق الكامل ينالون الملامح والأخلاق والبركات نفسها التي توجد في الأنبياء. فهذه هي حقيقة الشفاعة.

وكما أنّ من مستلزمات الشفع.. أي الربط الجسدي، أن يكون الأولاد أشباه الشخص صاحب الصلة معهم، كذلك هي خاصية الشفع الروحاني أيضا.

باختصار، إن حقيقة الشفاعة هي أن قانون الله تعالى الجاري في الطبيعة منذ القِدم في الأمور المادية والروحانية هو أن جميع البركات تنتج عن الشفع، والفرق الوحيد هو أن قسما منه سُمِّي شفعًا والآخر سمِّي شفاعةً. وكما أن الإنسان بحاجة إلى الشفع للمحافظة على سلسلة النسل، كذلك هناك حاجة للشفاعة لبقاء السلسلة الروحانية، وقد ذكر كلام الله تعالى كِلا النوعين، كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم إنه

خلق آدم زوجا ثم خلق من هذا الزوج خلقا كثيرا، رجالا ونساء. ويقول ﷻ أيضا بأنه خلق على الأرض آدم خليفة له وكانت فيه روح الله. ثم ظل هذا النور ينتقل من آدم إلى أنبياء آخرين وورث هذا النور كلٌّ من إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب وموسى وداود وعيسى وغيرهم، حتى بُعث نبينا الأكرم ﷺ الوارث الأخير. فكما ورث جميع الأنبياء الأطهار ملامح جسدية من آدم، كذلك نالوا منه روح الله أيضا لكونه خليفةً. ثم بواسطتهم ظل غيرهم أيضا ينالون هذا الإرث بين حين وآخر.

إثبات شفاعة النبي ﷺ من القرآن الكريم

لقد ذُكرت شفاعة النبي ﷺ في أماكن مختلفة في القرآن الكريم، حيث يقول ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1]. انظروا الآن كيف تبين هذه الآية بصراحة تامة أن النتيجة الحتمية للتأسي بأسوة النبي ﷺ -الذي يستلزمه حبه وتعظيمه وطاعته- هي أن يصبح الإنسان حبيب الله تعالى وتُغفَر له ذنوبه، أي إذا سبق لأحد أن تناول سمّ الآثام فيزول تأثيره بترياق الحب والطاعة والاتباع. وكما يتخلص المرء من المرض بتناوله الدواء كذلك يتخلص من الآثام

[1] آل عمران: ٣٢

أيضا. وكما يزيل النورُ الظلامَ ويزيل الترياق تأثير السمِّ، وكما أن النار تحرق كذلك تؤثر الطاعة الصادقة والحب الصادق. انظروا، كيف تحرق النار في لمح البصر، كذلك الحسنة التي تنتج عن الحماس لمجرد إظهار جلال الله فهي في حكم النار في حرق كلأ الذنوب وأعشابها. حين يؤمن أحد بنبينا الأكرم ﷺ بصدق القلب مؤمنا بعظمته كلها ويتبعه بالصدق والصفاء والحب والطاعة الصادقة لدرجة يبلغ مقام الفناء نتيجة الطاعة الكاملة، عندها يقتبس -بسبب العلاقة المتينة التي تربطه معه ﷺ- من ذلك النور الإلهي الذي ينزل عليه ﷺ. ولما كانت هناك منافاة كبيرة بين الظلمة والنور، فتبدأ الظلمة التي بداخله بالزوال حتى لا يبقى فيه شيء منها، ثم تصدر منه الحسنات من الدرجة العليا نتيجة حيازته القوة من ذلك النور، ويسطع نور حب الله من كل عضو من أعضائه. عندها تزول الظلمة الداخلية تماما ويتولد فيه النور علميا وعمليًا أيضا. وباجتماع النورين ترحل من قلبه ظلمة السيئات في نهاية المطاف. ومن الواضح أن النور والظلمة لا يجتمعان في مكان واحد؛ لذا لا يجتمع نور الإيمان وظلمة الإثم أيضا في مكان واحد. وإن لم يصدر من شخص مثله إثم صدفة، فيستفيد من هذا الاتباع بحيث تُسلب منه القدرة على السيئات في المستقبل، وتنشأ فيه الرغبة في كسب الحسنات، كما يقول الله ﷻ في هذا الموضوع في القرآن الكريم: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ

فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[١]. أيْ رغّبكم الله في كل حسنة بإنزال الروح الطاهرة عليكم...

فإذا طُرح هنا سؤال: ما هو ذلك النور الذي يقتبسه المتّبِع نتيجة اتّباع النبي ﷺ، والذي تزول بسببه الرغبة في السيئات؟

فجوابه بأنه: ١- معرفة مقدسة لا ترافقها ظلمة الشك والريب، ٢- وهو حب طاهر لا تشوبه شائبة الأهواء النفسانية، ٣- وهو لذة طيبة تفوق جميع اللذات ولا يخالطها كَدَرٌ، ٤- وهو جذب قوي لا يغلبه جذبٌ آخر، ٥- وهو ترياق ذو تأثير قوي تزول به السموم الباطنية كلها. فهذه الأشياء الخمسة تنزل مع روح القدس كالنور على قلب المتّبِع الصادق. والقلب مثله لا يتحاشى الآثام فقط بل ينفر منها أيضا بطبيعته. إن بيان قوة هذه الأشياء الخمسة منفصلا سيطول كثيرا، ولكن يكفي بيان خواص المعرفة المقدسة بشيء من التفصيل لفهم حقيقة كيف تحول المعرفةُ المقدسة دون الآثام.

من الواضح أن الإنسان بل الحيوان أيضا لا يقرب شيئا عندما يعلم مضرته علما صحيحا ويقينيا. إذا علم اللص مثلا أن هناك جماعة متخفية على مقربة من المكان الذي يريد نقبَه وستبطش به في لحظة النقب تماما، فلن يُقدم على ذلك قط. ولو شعر الطائر أن هناك شراكا تحت الحبات

---

[١] الحجرات: ٨

المنثورة له على الأرض لما اقترب منها. كذلك إذا طُبخ طعام لذيذ ثم علم أحد أن فيه سمًّا مدسوسا لما اقترب منه أبدا. إذًا، يتبين من هذه التجارب كلها وبكل جلاء أن الإنسان عندما يعلم علما كاملا عن شيء مؤذ ومضر فلا يرغب فيه مطلقا، بل يفر من رؤيته أيضا. لذا من الجدير بالتسليم أنه لو علم الإنسان بوسيلة ما أن الإثم سمٌّ قاتل يُهلك فورا فلن يرتكبه بعد هذا العلم أبدا. ولكن هنا ينشأ سؤال طبيعي: ما هي تلك الوسيلة؟ هل يمكن أن يكون العقل تلك الوسيلة؟ فجوابه أنه لا يمكن أن يكون العقل الوسيلة الكاملة قط ما لم يساعده مساعد من السماء، لأن اليقين القلبي بأن هناك عقوبة واجبة على الإثم في الحقيقة، ولا يمكن للإنسان أن ينجو منها، لا يتسنى ما لم يعلم علما كاملا بأن هناك إلها قادرا على المعاقبة. ولكن الذي يملك العقل وحده ولم يتيسر له نور من السماء فلا يمكن أن يوقن بالله يقينا كاملا، لأنه لم يسمع كلام الله ولم ير وجهه ﷻ، لذا فإن علمه عن الله سيكون مقتصرا فقط -إذا استطاع أن يتوصل إلى نتيجة صحيحة بالتفكير في المخلوقات في السماوات والأرض- على أنه ينبغي أن يكون لهذه المخلوقات كلها خالقٌ، ولكن لا يسعه أن يصل إلى علم قطعي ويقيني أن ذلك الخالق موجود فعلا. والمعلوم أن هناك بُعدا شاسعا بين "يجب أن يكون" و"موجود فعلا". بمعنى أنه إذا كان عِلْمُ أحد مقتصرا على: "يجب أن

يكون" فقط، وليس أمام عينيه وراء ذلك إلا الظلام فلا يماثل قط من حيث علمه شخصا لا يقول فقط عن الخالق الحقيقي أنه "يجب أن يكون موجودا" بل يشعر بشهادة النور الذي أُعطيه أنه "موجود فعلا". ثم لا يقتصر الأمر على أنه يرى الله بنور سماوي فقط، بل تُشحَّذ قواه العقلية والذهنية بهدي ذلك النور أيضا لدرجة أنْ يبلغ استدلاله القياسي أيضا أعلى المستويات. فيؤمن بوجود الله تعالى بقوة مضاعفة.

والمراد من النور السماوي هنا هو أنه يحظى بمكالمة الله اليقينية، أو يكون على صلة متينة ووثيقة جدا مع صاحب المكالمة. وليس المراد من مكالمة الله أنه يدّعي الإلهام بصورة ظنية مثل عامة الناس، لأن الإلهام الظني ليس بشيء بل هو أحطّ درجة حتى من العقل، بل المراد من ذلك هو الوحي الإلهي المقدس والكامل القطعي واليقيني الذي ترافقه الآيات السماوية حتما. ويكون ذلك الوحي مصحوبا بدرجة عالية من الشوكة والعظمة ويقتحم القلب كالمسمار الحديدي بكلماته القوية والعذبة، ويحمل خاتَمًا ساطعا لآيات الله وعلاماته التي تفوق العادة. وهذه هي الحاجة الأولى للإنسان من أجل الحصول على اليقين الكامل بوجود الله، أي أن يحظى بنفسه بهذا النوع من الوحي أو يكون على صلة متينة بالذي يحظى به ويجذب القلوب إليه بتأثير روحاني. فالدين الذي لا يستطيع أن يقدم هذا الوحي المتجدد المصحوب بالآيات الحية إنما هو

كمثل العظام الرميم التي جعلها التراب ترابا تقريبا. ولا يمكن لهذا الدين أن يُحدث تغيُّرا طيبا على الإطلاق. ولا يعتزّ به إلا الذين يريـــدون أن يسلكوا مسلك آبائهم فقط، ولا رغبة في أرواحهم في البحث عن الحق، ولا يتمنَّون هذه الرغبة. بل انقلبت حالتهم الداخلية رأسا على عقـــب نتيجة حبهم العناد والضلال، ولا يبالون كيف يمكن أن يتســـنى لهـــم الإيمان الحقيقي بالله، وما هي تلك الصفات التي يجب وجودها في الإله الذي يمكن أن يتسنى الإيمان الحقيقي به، وما هي تلك الأمور التي يمكن أن تولِّد اليقين بوجود الله، وما هي العلامات المميزة لصاحب اليقين؟

وليكن معلوما أنه إذا كان في الدين شيء من المعقوليـــة، ويتحلـــى بالتحضر واللباقة الظاهرية أيضا، ولكن لا يمكن القول بأنه يوصـــل إلى مرتبة اليقين بوجود الله تعالى وصفاته بمجرد هذه الأمور؛ بل إن جميـــع الأديان في العالم ستكون لاغية تماما وعديمة الجدوى وسخيفة وميتـــة لا حياة فيها ما لم توصل السالك إلى ينبوع اليقين النقي.

من المؤسف أن معظم الناس لا يعلمون ما معنى الإيمان بالله وعظمته وقدرته وصفاته الحسنة الأخرى، بل لو قيل عن حالتهم بالتأسف بأنهم محرومون تماما من نبع اليقين النقي، وبالتالي محرومون أيضا من الطهارة الحقيقية التي تتأتّى بعد اليقين، لاستاؤوا من ذلك كثيرا وقالوا بحمـــاس

شديد: ألا نؤمن بالله؟ ألا نعتقد به؟ فجواب كل هذه الأمور هو أنكم لا تؤمنون بالله حق الإيمان، ولا تعتقدون به حق الاعتقاد.

الأسف كل الأسف أنهم لا يفقهون أنهم لا يُقحمون يدهم في جُحر إن علموا بيقين القلب أن فيه حية سامة، لأنهم يرون في ذلك هلاكهم، ولكنهم يرتكبون كل إثم بكل شجاعة. لا يتناولون سما زعافا لأنهم يدركون أن في ذلك موتهم، ولكن تصدر منهم جرائم مهيبة مع أنه لا يمكن أن يرتكبوا عملا يُحتمَل ضرره في حالة الظن الغالب أيضا دع عنك اليقين؛ فمثلا لا يحبون أن يناموا تحت سقف تريد عارضته أن تنقضّ، ولا يريدون أن يسكنوا قرية تفشَّت فيها الهيضة أو الطاعون. فما السبب في أنهم ينقضون أوامر الله تعالى مع ادّعاء حيازتهم على اليقين؟ اعلموا يقينا أن الحق أنهم ليسوا حائزين على اليقين ولا حتى على الظن الغالب بأن الله المقتدر موجود فعلا وهو قادر على أن يُهلك في لمح البصر.

إله المسيحيين

هذا المرض لم يعد خاصا في هذه الأيام بفِرقة دون أخرى بل يوجد في المسلمين أيضا كوجوده في النصارى، بل قد أخذ منه أهل الشرق أيضا نصيبا بقدر مراتبهم مثل أهل الغرب تماما. والفرق الوحيد بين

المسلمين والنصارى هو أن المسلمين غافلون عن الإله الحق والقادر إهمالا منهم، مع أن الله تعالى ظل يُنـزِل نوره عليهم دائما ويجذبهم إليه في كل عصر، ويقتبس كثير من السعداء من هذا النور. أما المسيحيون فقد فقدوا منذ مدة سحيقة ذلك الإله الذي بسبب اليقينِ بوجوده يحدث تغيُّر طيب، وبتصور عظمته وجلاله يتبرأ الإنسان من الذنب براءة حقيقية. ولكنهم قد اتخذوا إنسانا عاجزا وضعيفا، يُدعى ابن مريم ويسوع إلـهًا من دون الله الحيّ القيوم، مع أنه لا يستطيع أن يجيب الأدعية ولا يقدر على أن يدعو أحدا من تلقاء نفسه ولا يستطيع أن يُظهر عظمته وقدرته، فكيف يمكن أن تتسنى الطهارة الحقيقية بواسطته؟ إن نماذج قدرته المذكورة في الكتب هي أنه لقي على أيدي اليهود أنواع الإيذاء، وما دعاؤه الذي دعا به طول الليل، ووُجِّهت إلى أمه تهمة شنيعة و لم يقدر على الدفاع عنها بلمعان الألوهية. لا توجد في معجزاته -إن عُدّت صحيحة- ميزة خاصة لا توجد في معجزات الأنبياء الآخرين. بل إن في معجزات النبي إيلياء وإحيائه الأموات ميزة تفوق قدرةَ المسيح بكثير. كذلك هناك بعض المعجزات للنبي إشعياء لا مجال لمقارنة معجزات المسيح بها. أما نبوءات المسيح فهي أسوأ حالا؛ وبدلا من أن تترك في القلوب تأثيرا حسنا فإنها تثير الضحك في الحقيقة إذ جاء فيها بأن مجاعة ستحدث، وتقع الزلازل، وتنشب الحروب، مع أن كل

هذا كان يحدث في البلاد قبل هذه النبوءات أيضا. فكيف يؤمن عاقل بهذا الإله؟ إن هي إلا قصص ماضية، والله أعلم بمدى صدقها ومدى الكذب فيها. والحق أن مشاكل المعاصرين في سبيل إيمانهم بهذا الإله الجديد الذي لا يوجد له أثر في تعليم اليهود قد تفاقمت أكثر من ذي قبل لأنهم لم يروا بأم أعينهم أمواتًا يُحيَون، و لم يشاهدوا خروج الأشباح من المرضى، و لم تتحقق الوعود التي أُعطُوها؛ مثل أنّ السمّ لن يؤثر فيهم إنْ تناولوه، وأنّ الجبل سينتقل من مكانه فورا إنْ أمروه، وأن الأفاعي لن تلدغهم لو أمسكوا بها بأيديهم. ولكننا نرى كثيرا من المسيحيين في أوروبا يموتون منتحرين إذ يؤثر فيهم السم فورا. وإذا كان هناك حذاء مقلوب لا يستطيعون أن يعيدوه إلى وضعه الصحيح بأمرهم فقط ما لم يفعلوا ذلك باليد دع عنك نقل الجبل، ويموتون دائما بلدغ الأفاعي والحشرات السامة الأخرى.

وإذا قالوا في الجواب: يجب ألا تُؤخذ هذه العبارات حرفيا، بل المراد هو المعنى المجازي؛ فالمراد من السم هو أنهم يكظمون الغيظ، والمراد من الأفاعي أن الأشرار لا يستطيعون أن يضروهم، فلنا الحق قبل الحديث عن التأويلات أن نطرح سؤالا أنه إذا كانت كل هذه الوعود التي أُعطيت لإراءة الآيات حيث قال المسيح مرارا وتكرارا بأن كل ما أُريه من الآيات سيريه أتباعه أيضا، استعارةً ومجازا فقط، وليس المراد منها

إراءة الآيات حقيقةً، فتبين من ذلك بالقطع أن كل ما يُنسَب إلى المسيح عليه السلام من المعجزات أيضا استعارات، لأنه قد قال في الأناجيل مرارا وتكرارا بأن المعجزات التي أُريها أنا سيريها أتباعي الصادقون أيضا باستمرار.

والآن، ما دام الجواب عند طلب المعجزات بأنه ليس المراد هنا المعجزات بل المراد هو حالة المسيحيين الأخلاقية، لماذا إذًا لا يمكن القول بأنه قد أُريدَ من معجزات المسيح أيضا الأمور نفسها وليست المعجزات في الحقيقة؟

باختصار، هذا السؤال يقضُّ مضاجع المسيحيين وليس لديهم جواب عليه. ولو تأملنا أكثر في هذا المقام لوجدنا أنها ليست مصيبة واحدة بل ثلاث مصائب وهي:

(١) قول المسيح بأن المعجزات التي أُريها أنا سيُريها أتباعي نفسها بل أكبر منها، ولكن هذا الكلام ثبت بطلانه.

(٢) لقد أثبت أيضا هذا الكذب أن المسيح لم يُرِ أية معجزة، لأنه لو كان قد أراها لكان ضروريا أن يكون أتباعه أيضا قادرين على إراءتها.

(٣) لو قبلنا كافتراض محال أنه قد ظهرت المعجزات على يد المسيح، وأهملنا عبارات الأناجيل التي ورد فيها: "جِيْلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ"، فمع ذلك لا تُثبت تلك المعجزاتُ -التي ليست أكثر

من معجزات الأنبياء السابقين بل أقل منها- ألوهيةَ المسيح بحال من الأحوال. فما دام لا يسع سليم العقل أن يؤمن بألوهية المسيح فكيف تمنع هذه الألوهية أحدا من ارتكاب الآثام؟

لقد كتبتُ من قبل أن أول ما يمنع من ارتكاب الآثام هو اليقين بوجود الله تعالى، أي اليقين بأن الله تعالى موجود في الحقيقة وهو يعاقب على الآثام. ولكن كيف يتسنى هذا اليقين بالمسيح؟ فليخبرنا أحد ما الذي يميزه عن غيره من الأموات؟ نعرف جيدا نحن وكل من يملك العقل والفطنة أنه لا بد أن يكون هناك ما يميز بين الإله وبين المخلوق، ولكن في حال المسيح لا يثبت التميُّز حتى بالقدر الذي يفرّق بين الحي والميت فضلا عن التفريق بين الإله والمخلوق. من المؤسف أن المسيحيين يشغبون ويصرخون لإثبات ألوهية المسيح، ولكننا سنرضى إن أثبتوا أنه يحتل مرتبة إنسان حي. نحن لا نبغض أيّ دين، وإن كان ابن مريم إلـهًا فإننا جاهزون للقبول به قبل غيرنا. إذا كان هو الشفيع فنودّ أن نكون نحن أول المؤمنين دون غيرنا. ولكن كيف نقبل الباطل المحض واللغو البحت والكذب؟ إذا جاز أن يكون الإله ضعيفا وعاجزا مثل يسوع بن مريم فلا حاجة إلى الإيمان بإله مثله أصلا! ولا يمكن اليقين به بأي حال. لكن إذا كان يسوع المسيح إلـها بحيث نستطيع أن نعرفه كما ظل الله تعالى يعرِّف نفسه في كل عصر بواسطة الأنبياء وبنفسه

أيضا، ولم يجهله حتى أناس لم تبلغهم الكتب السماوية، فنحن جاهزون للإيمان به. فهل على وجه الأرض أحد يُرينا ميزة تفرد بها المسيح؟ أي أن نسمع صوته ونرى أمارات ألوهيته؛ لأني كتبتُ مرارا أنه إذا كان الإيمان بالإله الحق أيضا مبنيًّا على الشك فلا يمكن لهذا الإيمان أن ينجّي من الآثام، فمِن أيّ مرض سينجّي تصور ذلك الإله الزائف، المبني على الشك والريب، الذي ظل يتحمل الإيذاء على أيدي اليهود؟ لا شك أنّ الإيمان بالإله الحق والصادق أيضا لا ينجّي قطّ من الآثام ما لم يبلغ مبلغ اليقين، فكم هو مخجل تأليه إنسان ثم عدم تقديم الأدلة اليقينية على ألوهيته! الحق أن أناسا مثلهم يعادون الحق والصدق. لا أفهم أية حاجة دفعتهم إلى هذه الفكرة المخجلة؟ وما هي الخسارة التي شعروا بها في الإيمان بالإله الأزلي والأبدي التي تم تداركها بواسطة الإله الزائف؟ نشهد أن ذلك الإله الحق الذي ظهر على آدم ثم على شيث ثم على نوح ثم على إبراهيم ثم على موسى وعلى الأنبياء جميعا، حتى على نبينا الأكرم ﷺ هو الإله الأزلي والحي القيوم إلى الأبد. وكما ظل يقول: "أنا الموجود" بواسطة الأنبياء في الأزمنة الخالية، كذلك يقول الآن أيضا. وكما سمع الأنبياء السابقون صوته الجلالي ورأوا آياته، كذلك نسمع صوته ونُري آياته الآن أيضا. وكما كان يسمع أدعية عباده في الأزمنة الخالية ويجيبها، كذلك يسمع أدعيتنا الآن ويجيبها. وكما كان الأتقياء

في العصور السحيقة ينالون الطهارة الحقيقية نتيجة حبه ورؤية وجهه، كذلك ننالها نحن الآن. فلن يترك هذا الإلهَ القويَّ والمقتدر إلا من كان جدّ شقي وأعمى. نحن نوقن أن الذين اتُّخِذوا آلهة زائفة في العالم مثل يسوع بن مريم، ورام شندر وكرشنا، وبوذا وغيرهم فقد اتُّخذِوا بغير دليل. ومَثَلُ ذلك كمثل اعتبار الشاة إنسانا مع أنها لا تتكلم ولا تمشي كالإنسان وليست صورتها كصورة الناس ولا تعقل كالإنسان ولا توجد فيها أية علامة من علاماته. فهل لكم أن تعُدّوا الشاة إنسانا مع أنها تشترك مع الإنسان في عدة أمور؟ منها مثلا أنها تأكل كما يأكل الإنسان، وتتبوّل وتتبرز مثل الإنسان، ولكن هل لأحد أن يثبت أن المسيح أو رام شندر أو غيرهما يشارك الله في شيء معين؟

لا يوجد سببٌ لاتخاذ هؤلاء آلهةً إلا أنه قد اختِير مسلك الإفراط مقابل التفريط. فمثلا عندما أهان "راجه راون" راجهَ رام شندرَ بشدة، وأحزن جماعة رام شندر كثيرا باختطاف زوجته والذهاب بها إلى "سريلانكا"، أسرع الحزب الذي كان يؤيد راجه رام شندرَ إلى إخراج "راجه راون" من نسل البشر، ومن جهة ثانية اتخذوا راجه رام شندرَ إلها بيقين كامل، حتى إن الهندوس كلهم يرددون إلى الآن "رام، رام" بدلا من ذكر اسم إلههم. بل إن لفظ "رام، رام" صار متداولا كتحية رسمية بينهم. يبدو من ذلك أنه لا يوجد في تأليه المسيحيين يسوعَ إلى

الآن غلوٌّ بقدر ما يوجد في تأليه الهندوس رام شندرَ حتى نسـوا اسـم إلـهـهم تقريبا إذ يُكثرون ترديد "رام، رام" بكل مناسبة. فالغيرة والغلوّ الذي اتُّخذ بسببه راجه رام شندر إلها قد اتُّخذ يسوع بن مـريم أيضـا إلـها للأسباب نفسها؛ أي عدّ اليهود الأشرار ولادة المسيح غير شرعية أولا، واتهموا مريم عليها السلام بارتكاب السـيئة، ثم افتـروا علـى تصرفات المسيح عليه السلام افتراءات كثيرة، لدرجة هنـاك كتـب لـبعض العلماء اليهود قيد مطالعتي في هذه الأيام، يتبين منها أنهم صوروا حيـاة المسيح عليه السلام تصويرا بشعا جدا. تُقرأ كتب هؤلاء العلماء اليهود هذه في مجلسنا مساءً في هذه الأيام ليعلم أفراد جماعتي أنه كما يشـنّ بعـض القساوسة الأغبياء المعاصرون على سيرة نبينـا الأكـرم ﷺ صـولات الافتراء والبهتان، فقد شُنَّت أسوأ منها على حياة المسيح عليه السلام، لدرجة يحول الحياء والخجل دون كتابتها. فقد اتُّهمت أمُّه بتهمة قذرة جـدا، وكذلك اتُّهمت بعض من جداته بمن فيهن "ثامار" و"راحاب" و"بَثْشَبَع" بتهمة الزنا. وهذا ما يقبله القساوسة أيضا. والأسوأ من كل ذلك تلك التهم التي وُجِّهت إلى سيرة المسيح عليه السلام، وكيفية تزييفه وخداعه في كل شيء، وكيفية معاقبة الله له بالموت في نهاية المطاف بحسب وعـده في التوراة. فهي كلها كلمات إذلال وإهانة لا يستطيع مسلم أن يقرأهـا دون أن يغتاظ عفويا. فقد أهين المسيح عليه السلام بشدة حتى حُطَّت درجته

عن درجة شخص عادي أيضا، ففي هذه الحالة كان من الطبيعـــي أن تميل الجماعة التي آمنت به ﷺ إلى الإفراط رويدا رويدا. فما كان من المتحمسين من الناس الذين يحبون الشـــرك ســـلفا أن يرضـــوا إلا أن يؤلّـــهوا المسيح. وكأنهم أرادوا أن يعوضوا بذلك هجمات اليهود التي شنُّوها على المسيح ﷺ بشدة متناهية.

والأغرب من ذلك أن الأناجيل التي يريد المسيحيون أن يثبتـــوا بهـــا ألوهية المسيح قد حاول عالم يهودي أن يُثبت منها بأنه ﷺ كـــان في الحقيقة إنسانا ماديا ومكارا، والعياذ بالله، و لم تظهر منه معجزة قط و لم تتحقق له نبوءة. ثم يقول بأن ما يقال في الأناجيل بـــأن المســـيح أرى اليهودَ معجزاتٍ كثيرة قد ثبت كذبه من الأناجيل نفسها، لأنه يثبـــت من شهادة الإنجيل أنه كلما طلب كبار القوم آية من المسيح كان مـــن عادته إزاء ذلك أن يشتمهم شتائم بذيئة ويقول بأنهم لن يُعطَوا أية آية. ثم يقول المؤلف بأنه لو قبلنا أنه شفى بعض المرضى فهذا ليس دليلا يفيد ألوهيته، لأن معارضيه في الزمن نفسه كانوا أيضـــا يُـــرون المعجـــزات نفسها. فهل يُعقل أن تثبت ألوهية يسوع بالمعجزات التي أرى الأنبيـــاء الآخرون أكبر منها؟

فباختصار، لما أهان اليهودُ المسيح ﷺ بشدة كانت النتيجة الحتمية أن يحدث الإفراط مقابل هذا التفريط. فعندما هاج ســـيل الإفـــراط في

المسيحيين بقوة وشدة، وُضع أساس تأليه المسيح في الزمن نفسه. هذا يُفهم بسهولة عندما ننظر إلى هجمات اليهود من ناحية، ومن ناحية أخرى نتأمل في مبالغات المسيحيين للتخلص منها. ولأن كتب اليهود منشورة الآن، ونشرها بعض العلماء اليهود باللغة الفرنسية، وطُبعت بالإنجليزية أيضا؛ فإن فهم الحقيقة قد سهل كثيرا على الباحثين عن الحق في هذه الأيام. تتفق جميع فِرق اليهود على أنه منذ أن أُعطِي موسى التوراة والأنبياء يأتون أيضا بين حين وآخر، لم يعلّم أحد التثليث بل علّموا دائما أن إلهكم إله واحد، وهو غائب عن الأنظار. يقدم اليهود عذرا آخر أيضا أنه عندما التمس موسى من الله على جبل سيناء أن يُريه وجهه، وقال الله: لن يرى وجهي أحد، كان ينبغي أن يُريه اللهُ يسوعَ ويقول: هذا هو وجهي.

باختصار، فقد أراد اليهود أن يُثبتوا أن المسيحية دين يريد أن يمزق وثيقة التوراة القديمة التي عليها أختام الأنبياء جميعا، ويريد أن يستأصل التوحيدَ الذي هو مبدأ التوراة الأساسي.

فالحاصل أن المسيحيين أرادوا أن يروِّجوا في الدنيا بدعة شنيعة بتقديمهم إلـها لا ينسجم تعليمه عن الله مع تعليم التوراة ولا مع تعليم القرآن قط. ولا يبالون بأنه إذا كان هذا المعتقد الجديد يخالف التوراة وصحف الأنبياء الآخرين، فكان من المفروض أن يُثبَت وجودُه بواسطة

العقل على الأقل. بل الحق أنهم غافلون تماما عن مقتضيات العقل أيضا وكأنه لا سيطرة لاستدلال العقل على المذهب قط. بل لا يحق للعقل بحسب رأيهم أن يُدلي بشهادته في مسألة التوحيد والتثليث. إنهم متعودون كثيرا على النقد والطعن في الآخرين، ولكن الغريب في الأمر أنهم لا يمعنون النظر في اعتقادهم قط. كان من واجبهم أن يُثبتوا أولا ألوهية المسيح -التي تكذّبها التوراة والقرآن والعقل- ثم يركزوا على الكفارة والنجاة وغيرهما من الأمور التي اختلقوها بأنفسهم. ولكنهم لم يفعلوا ذلك بل خاضوا في أمور سخيفة معرضين عن أساس معتقدهم الحقيقي. ولكنني أريد القول أيضا إلى جانب ذلك بأن في أعماق هذا الخطأ هناك حقيقة خافية أيضا، وقد سُوِّد وجهها بحواشي الأوهام السخيفة بحيث تتراءى الآن صورة بشعة ومخيفة بدلا من جمالها، ولكن مع ذلك يوجد داخل هذه السحب السوداء لمعان برق الصدق الحقيقي الذي مازال يُشعر بصيصه الخافت في هذا التعليم المهلك، أي تأليه المسيح، وهو أنه يثبت من التوراة أن الله تعالى خلق الإنسان على صورته وأودعه نوره ونفخ فيه من روحه. وهذا ما يتبين من القرآن الكريم أيضا. إذًا، لا يفوق مواهب الإنسان وفطرته أن يَنزل الله تعالى على قلب عبده النقيّ نزولا جلاليا بحيث تُنصب خيمة عظمته عَزَّوَجَلَّ في قلب الإنسان، وأن تنشأ بين الله وعبده علاقة متينة، كما يحدث عندما يوضع

الحديد في نار مضطرمة فيبدو في الظاهر كأنه صار نارا ولكنه حديد في الحقيقة وليس نارا. فعلى هذا النحو تقوم علاقة محبي الله الكاملين معه ﷻ فيشعرون بداخلهم أن الله تعالى قد نزل فيهم. وفي كثير من الأحيان تجري على لسان بعض الناس في حالة الاتحاد معه ﷻ الشطحاتُ أيضا، بمعنى أنهم يذكرون هذه العلاقة بالله بأسلوب ينخدع به عامة الناس ويزعمون كأنهم يدّعون الألوهية. وتوجد كلمات من هذا القبيل في جميع الكتب الإلهية تقريبا.

أقوال النبي ﷺ وأفعاله

وبناء على ذلك قد عُدَّ قول نبينا الأكرم ﷺ وفعله في القرآن الكريم قولَ الله وفعله. فمثلا قد ورد عن القول قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]. انظروا الآن أنه يثبت من قوله تعالى أن جميع أقوال النبي ﷺ هي أقوال الله تعالى. ومقابل ذلك هناك آية أخرى يثبت منها أن أفعاله أيضا هي أفعال الله، كما يقول تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[2]. فثبت من هذه الآية أن أفعال النبي ﷺ أيضا أفعال الله تعالى. فلما كانت أقوال النبي ﷺ وأفعاله بمنزلة

---

[1] النجم: ٤، ٥

[2] الأنفال : ١٨

أقوال الله وأفعاله، فما النتيجة إلا أنه ﷺ هو المظهر الأتم لذات البارئ تعالى؟ ومع ذلك لا يعُدّه ﷺ المسلمون العقلاء إلـها ولا يعُدّونه أقنوم الألوهية مثل المسيحيين، مع أن هناك إثباتا عمليا أيضا بحقه وهو أن الله تعالى كما يغار لنفسه، كذلك تماما يغار له ﷺ. والذين آذوا النبي ﷺ وسفكوا الدماء بغير حق أو أخرجوه من وطنه، ما أمات الله تعالى النبي ﷺ ما لم يُذقهم عذابا شديدا، والذين حالفوه ﷺ أجلسهم على العروش. وعندما نقارن وقائع النبي ﷺ مع وقائع يسوع المسيح نضطر إلى الإقرار بأن الله ﷻ لم يؤيد يسوع المسيح تأييدا عمليا بل على العكس من ذلك ظل يؤيد اليهود حتى علّقوه على الصليب وأهانوه بشدة.

حين أراد خسرو برويز قتلَ النبي ﷺ قُتل هو في غضون ليلة واحدة. ولكن عندما صدر قرار اعتقال المسيح نتيجة وشْي اليهود فقد اعتقله شرطيان فقط خلال ثلاث ساعات وأودعوه السجن. الآن، كل واحد يستطيع أن يفهم إن كان قد حالف المسيح شيء من جلال الله؛ إذ لم يَسْلم من الاعتقال رغم دعائه طول الليل.

ثم نرى كم من الناس اجتمعوا عند بيت النبي ﷺ للهجوم عليه بغية قتله وحاصروا بيته ولكنهم خابوا وخسروا مع محاولاتهم الشديدة وأُنقِذ ﷺ بفضل الله دون أن يدعو طول الليل مثل يسوع المسيح، وخرج من

بين جمعهم بكل سهولة في وضح النهار و لم يره أحد. أما دعاء المسيح الأليمُ: "إيلي إيلي لم شبقتني" الذي يسخر منه اليهود إلى الآن، فقد رُفض تماما وكانت نتيجته هو صلبه باعتراف المسيحيين.

هذه كانت معاملة الله مع المسيح عليه السلام، ولا تختلف وقائع الحواريين أيضا عنها كثيرا، إذ قد وعدهم المسيح بأنه سيعود وهم أحياء. انظروا الآن كيف ثبت بطلان هذه النبوءة، إذ قد أوشكت ألفا سنة على الانتهاء ولا يوجد لمجيئه أيّ أثر. وقد مات المنتظرون جميعا ويسخر منهم اليهود دائما سائلين: أين عاد معلّمكم؟ وواجه المسيحيون من هذا السؤال خجلا دائما و لم يطيقوا جوابا. قد وُعدوا باثني عشر كرسيا؛ ولكن ارتدّ أحد الحواريين في حياة المسيح، والثاني تصرف كالمرتدين أيضا، وبذلك بقي عشرة كراسٍ فقط، مع أن النبوءة كانت تتضمن وعدا باثني عشر كرسيا. أما نبينا الأكرم ﷺ فقد وعد أصحابه برفعهم إلى العروش في الدنيا، ويعترف معارضونا أيضا أن هذا الوعد قد تحقق.

فالحاصل أنه لا يوجد في تعليم المسيح كلمات نادرة وعجيبة من شأنها أن تؤدي إلى تأليهه، لأن الكلمات من النوع نفسه جاءت بحق الأنبياء الآخرين أيضا بكثرة. فمثلا أُطلق على آدم "ابن الله"، وقيل لإسرائيل أيضا "ابن الله" بل ورد أيضا بأنكم كلكم آلهة. ولكن هل يجوز الاستنتاج من هذه الكلمات أن الذين استُخدمت هذه الكلمات

بحقهم هم آلـــهة أو أبناء الله في الحقيقة؟ وقد استخدم المســـيح أيضـــا كلمات مثلها!

ظهور المسيح الموعود

فأقول بأسف شديد بأهم قد جعلوا في حق المسيح عليه السلام من الحبـــة قبة بغير حق. أنا أيضا أتلقى إلهاما من الله تعالى، ويكلّمني عز وجل منذ أكثر من عشرين عاما، وقد ظهرت قرابة ١٥٠ آية. أقول حلفا بـــالله بـــأن الأموات الذين ظلوا يحَيَون بحسب سنة الله تعالى قد أُحيُوا على يـــدي أيضا. كذلك أقول حلفا بالله بأنه قد استُجيب لي أكثر من عشرة آلاف دعاء. والكلمات التي وردت في الأناجيل بحق يسوع المسيح وتُســـتنبَط منها ألوهيته قد ورد بحقي في كلام الله ما هو أعلى منها بكثير. وقـــد نشرتُ أيضا تلك الكلمات في كتبي. لقد سمـــاني الله آدم، وسمـــاني الله إبراهيم، وسماني الله المسيح الموعود، وأخبرني بأن الموعود الذي خلا في انتظاره الأنبياء جميعا هو أنت. ولكن مع ذلك لا أقول بأني إله، أو ابن إله، بينما قد جاءت في كلام الله بحقي كلمات كثيرة يمكن بناء عليهـــا أن أُسمَّى إلـــهًا بسهولة أكبر مقارنة بالمسيح ابن مريم. ولكني أعرف أن هذا كفرٌ، لذا إنني أستغرب أكثر من أي واحد في العالم كله وأتساءل: أية أفضلية وُجدت في المسيح ابن مريم حتى اتُّخذ إلـــها بسببها؟ هـــل

كانت له معجزات غير عادية؟ بينما أرى أن معجزات أكبر منها تظهر على يدي. أو هل كانت نبوءاته أفضل وأعلى؟ وسيكون قولي مناقضا للحقيقة إن لم أعترف بأن النبوءات التي أُعطِيتُها أعلى بكثير مما أُعطِيه المسيح ابن مريم. هل لي أن أقول بأنه قد وردت في الأناجيل بحق المسيح ابن مريم كلمات أعلى وأفضل وبسببها يضطر المرء إلى اتخاذه إلـها؟ ولكني أقول حلفا بالله -الذي الحلف الكاذب باسمه مدعاة للعنة في الدنيا والعقبى- بأن كلمات الله التي وردت بحقي أنا، وأقول حلفا بالله مرة ثانية بأنها كلمات الله الخالصة وليست محرَّفة ومبدَّلة ومغَيَّرة مثل الأناجيل، إنما هي أكبر شأنا بكثير مما يستخرجه القساوسة من الأناجيل بحق المسيح ابن مريم. ولكن هل يجوز لي أن أدّعي الألوهية أو بنوة الله؟ فعلى غرار ذلك يجب أن تعلموا يقينا أن المسيح ابن مريم أيضا ليس إلـها ولا ابن إله. أنا مسيح محمدي وكان هو مسيحا موسويا. وكان مقدَّرا في قدر الله أن يأتي المسيح في نهاية السلسلة الإسرائيلية التي بدأت شريعتها من موسى، وكذلك قدِّر مقابل ذلك أن يأتي المسيح في نهاية السلسلة الإسماعيلية أيضا التي بدأت شريعتها من محمد المصطفى ﷺ، فكان كذلك. لقد جاء عبد الله موسى بشريعة لبني إسرائيل، وكان في علم الله أن بني إسرائيل سيتركون حقائق الشريعة وأسرارها في القرن الرابع عشر تقريبا بعد موسى وستتدهور حالتهم الأخلاقية أيضا، لذا

خلق الله تعالى المسيح ابن مريم في القرن الرابع عشر بعد موسى عليه السلام في بلد لم تعد فيه لبني إسرائيل قائمة. فعندما جاء في الدنيا مثيل موسى، أي سيدنا محمد المصطفى ﷺ، بحسب وعد التوراة في سِفر التثنية، خلق الله تعالى في القرن الرابع عشر بعده ﷺ أيضا مسيحا على غـــرار المســـيح الأول، وهو أنا. وكما أن مثيل موسى أفضل منـــه في أمـــور كـــثيرة، كذلك مثيل عيسى أيضا أفضل منه في أمور كثيرة، وهذه أفضلية جزئية يعطيها الله من يشاء.

كيف تتحقق العصمة؟

أرى أن مسألة العصمة والشفاعة التي يقـــدمها المســـيحيون مـــرارا وتكرارا ليست إلا خديعة بحتة انخدعوا بها. إذا كان المراد من المعصـــوم ألا يقدر عدوّ على النقد والطعن في حياته العملية فتعالوا نـــريكم مـــا كتب اليهود الذين طعنوا كثيرا في سيرة المسيح وأمه. وإذا كان المـــراد من المعصوم أن يدّعي أحد بنفسه بأنه صالح فتعالوا نريكم من الأناجيل أن المسيح أقر بنفسه بأنه ليس صالحا. فلمّا لم تثبت عصمة المسيح ابـــن مريم بأي طريقة بل يثبت من الأناجيل أن بعض تصرفاته تنافي العصمة؛ مثل شرب الخمر، ونقض أوامر التوراة الأبديـــة كالختـــان، وحرمـــة الخنـــزير، والإضرار بأموال الآخرين بغـــير حـــق، وسِـــباب الكتبـــة

والفريسيين، والسماح للمومسات بمسح جسده، ودهنِ رأسه بزيت من مال حرام، وعدم منع التلاميذ من قطف السنابل من حقول الآخرين.. قولوا الآن، بالله عليكم، أهذه الأمور كلها آثام أم لا؟ إذا كان شرب الخمر عملا حسنا فلماذا كرهه يوحنا، وقال دانيال بأن أبواب السماء تبقى مغلقة على شاربي الخمر؟ وكان أمر الختان أمرا دائما فلماذا منعه، مع أنه ينقذ من أمراض كثيرة بحسب البحوث المعاصرة أيضا؟ كذلك كان لحم الخنزير حراما إلى الأبد، فلماذا أفتى باستهلاكه؟ وقال من ناحية بأن التوراة لم تُنسخ، ثم نسخها بنفسه!

وجدير بالتذكر أن إثبات عصمة المسيح ابن مريم من الإنجيل صعب كصعوبة إثبات صحة المسلول الذي بلغ به المرض مرحلة الذبول والإسهال. ألم يكن واجبا عليهم أن يثبتوا عصمة المسيح عليه السلام أولا قبل الطعن في الآخرين؟ هل من الأمانة في شيء الادعاء فورا بالنظر إلى كلمة الاستغفار في القرآن الكريم بأن المراد منها هو ارتكاب الإثم، وغض البصر عما ورد في الإنجيل أنني لست صالحا؟

بعد كل ذلك نرى أيضا بأنه لا يثبت كون أحد شفيعا في الآخرة إلا الذي أبدى شيئا من نماذج الشفاعة في الدنيا. فعندما ننظر إلى موسى من هذا المنطلق يثبت كونه أيضا شفيعا لأنه أزال بدعائه أكثر من مرة عذابا موشكا، وهذا ما تشهد به التوراة. وكذلك حين ننظر إلى سيدنا

محمد المصطفى ﷺ من هذا المنطلق يتبين كونه شفيعا كأجلى البديهيات لأن من تأثير شفاعته رفْع الصحابة المساكين إلى العروش. وكان من تأثير شفاعته أن صار الناس موحدين -بعد ما تربَّوا في الوثنية والشرك- بحيث لا يوجد نظيرهم في أي زمن. ثم من تأثير شفاعته ﷺ أن متبعيه لا يزالون يتلقون إلهاما صادقا من الله تعالى إلى يومنا هذا، ويكلِّمهم الله تعالى. ولكن أين وكيف تثبت كل هذه الأشياء في المسيح ابن مريم. أية شهادة أكبر على شفاعة سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ من أننا نجد من الله بواسطته ما لا يمكن أن يجده أعداؤنا؟

أما إذا أراد معارضونا اختبار ذلك فيمكن البتُّ في الموضوع في غضون بضعة أيام. ولكنهم لا يريدون الحُكمَ بل يريدون إكراهنا على أن نتخذ إلـها لا يتكلم ولا يرى ولا يخبر بشيء قبل الأوان، أما إلـهنا فقادر على كل ذلك، فطوبى لمن كان باحثا عنه.

(نقلا عن مجلة "مقارنة الأديان" مجلد ١، رقم ٥، أيار/مايو ١٩٠٢م، ص ١٧٥ إلى ٢٠٩)

❁❁❁❁❁